روايات مصرية للجيب

حالات خاصة

مذكرات طبيب نفسي ،
يصارع للحفاظ على حياته ،
والحفاظ على سلامة عقله .

حالة بارانويا

2

Looloo
www.dvd4arab.com

مقـــدمة

فى أفلامنا القديمة كانت الفتاة عنـد خروجها من المنزل تقـول إنـها ذاهبة إلى الخياط أو طبيب الأسنان .

أما فى أفـلامنـا الحديثة فإنهـا تقـول إنهـا ذاهبـة إلى الكوافير أو الطبيب النفسى .. لذا لا تندهش كثيرًا إذا أخبرتك خطيبتك أنها كانت عندى بالأمس .. ولست أعمل كوافيرًا بالتأكيد .

أعرفكم بنفسى .. د. (ياسين العوضى) .. استشارى الطب النفسى وعضو الاتحاد العالمى للصحة النفسية .

الحالة الاجتماعية : متزوج ..

لى صـديقان عزيزان .. أحدهما طبيـب بيطرى والآخر طبيب أطفـال ... ربمـا كـان تفـرد تخصصاتنا هـو السـبب الـرئيسى فـى توطد صداقتنا حيث إننا نختلـف عن بقيـة الأطبـاء من حيث طبيعة مرضانا بينما يرى صديقى طبيب الأطفال أن الجيرة هى السبب .

لى أصدقاء آخرون من مصر ولـى أصدقـاء أيضًا من أنحـاء دول العالم ..

ستلتقون معى فى كل عدد مع حالة نفسية كنت أعالجها وكانت لى جلسات معها .. ستعتادون على هذه الجلسات العلاجيـة .. وربمـا تدمنونها ..

بالنسبة لاسم السلسلة فأنا أرى أنه مناسب ، لأنى أتحدث عن حالات خاصة بالفعل .. ولأن معظم هذه الحالات يبدءون حديثهم بجملة : « أنا حالة خاصة جدًا يا دكتور » .. وكأنهم جاءوا ليدهشونى فقط ، وليس أملاً فى الشفاء ..

بالنسبة لأسماء الروايات .. سأطلق على الروايات أسماء أمراض نفسية مثل : (حالة هيدروفوبيا Hydrophopia) .. أو أتركها باسم الحالة نفسه مثل حالة الأستاذ (شكرى) أو وظيفته مثل : (حالة طبيب شرعى) .. أو أطلق اسمًا على الحالة بجملة اعتادت أن تقولها ، فلا تندهش إن وجدت (حالة كيف تحركت المومياء ؟) عنوانًا لرواية .. وإذا اعتبرنا صاحب العمارة حالة فإنه (حالة كلهم أعدائى) .. وهكذا ..

سنتعرف ـ بإذن الله ـ على الأمراض النفسية .. سنتكلم عن الأعراض العضوية والأعراض النفسية .. ونتناقش فى طرق العلاج ..

سنتحدث عن الهلاوس .. هل تسمع هذا الصوت المخيف ؟ هل ترى هذه الفتاة العرجاء ؟ هل تشم هذه الرائحة الزكية ؟ هل تجلس بجوارى الآن ؟

سنحاول تفسير أحلامنا بوجهة نظر نفسية .. سنجيب سؤ ل :

لماذا حلمنا بذلك ؟

سنحلل العقد النفسية .. من هو (أوديب) ؟ هل سمعت عن (الكترا) ؟ سنسألك عن الفوبيا (Phobia) ؟ هل قرأت عن البارانويا (Paranoia) ؟ هل فهمت الشيزوفرنيا (Schizophrenia) ؟ هل تعرف شيئًا عن الهستريا (Hysteria) ؟ هل تعانى من الوسواس القهرى ؟ هل تسير أثناء نومك ؟

سنتأمل الحيل الدفاعية .. سنعرف الكثير عن الصراعات النفسية .. سنتساءل فى حيرة : من أنت ؟ هل (أنت) كما ترى نفسك ؟ أم (أنت) كما تريد أن تكون ؟ أم (أنت) كما يراك الآخرون ؟ أم (أنت) شخص آخر ؟

ستكتشف أنك لست (أنت) .. هناك (الأنا) و(الهو) و(الأنا الأعلى) .

ستعرف كيف تتعامل مع الآخرين ؟ كيف تفهم الآخرين ؟.. وقبل كل ذلك كيف تفهم نفسك ؟

سنتطرق لمعظم فروع علم النفس الكثيرة ـ التى تزيد يومًا

بعد يوم ـ كعلم النفس الاجتماعى والحربى والصناعى والإدارى وغيرها .

أما بالنسبة لعلم نفس الخوارق (الباراسيكولوجى) Parapsychology فلى معه صولات وجولات حيث يتمتع بإثارة وجاذبية تجعلانى أتورط فيه متعمدًا بين الحين والآخر ..

لقد شبه (ديكارت) العقل بسلة التفاح فلا تعجب عندما ترى على الغلاف الخارجى جملة مثل : (حالات خاصة .. مغامرات طبيب نفسى بين الشعور واللاشعور وسلة التفاح) .

أيكفى ما قلته كمقدمة ؟ فلنبدأ القراءة إذن .. ولن أستخدم الأسماء الحقيقية للمرضى ؛ لأنه لايجب أن أصرح باسم الحالة .. إن الطبيب النفسى يجب أن يحافظ على أسرار مرضاه وعلى شرف مهنته كأى طبيب آخر وكأى صاحب مهنة أخرى .

د. ياسين العوضى

1 ـ حالة المرض ..

استيقظت فى الثامنة .. وقبل أن يصيح المنبه معلنًا ذلك .. إن ساعتى البيولوجية تعمل بدقة أحيانًا ..

توقعت أن يدق المنبه فى أى لحظة أثناء تناولى وجبة الإفطار ؛ لذا عندما سمعت الرنين توجهت على الفور إليه لأكتشف الحقيقة الغائبة : أن هذا لم يكن صوت المنبه .. رفعت السماعة و ....

ـ آلو .

صوتًا أنثويًا رقيقًا يتسلل إلى أذنى عبر السماعة .. رددت قائلاً :

ـ آلو .

ـ صباح الخير .

ـ صباح النور .. من المتحدث ؟

ـ ألا تعرفنى ؟

ـ ممم .. أعتقد لا .

ـ ألم تميز صوتى ؟

ـ آسف .. الصوت لا يبدو مألوفًا لى .. وسأكون ممتنًا للغاية إذا أخبرتنى من أنت ؟

ـ مهلاً .. يبدو أنى طلبت رقم خطأ .. أنا آسفة جدًا .

ـ لا عليك .. يحدث هذا كثيرًا .

ثم لم أسمع بعدها سوى صوت وضع السماعة ..

عدت لأكمل إفطارى ولكنه قد برد .. لذا حملته إلى المطبخ لأقوم بتسخينه من جديد .. عندما سمعت الرنين للمرة الثانية و ...

ـ آلو .

ـ .....

ـ آلو مرة أخرى .. كم مرة تريدنى أن أقول (آلو) لكى ترد ؟

سمعت صوت أنفاس ، ثم الصوت المميز لوضع السماعة .. الأمر يبدو مريبًا ولكنى تناسيته .. هناك مئات الأمور الأخرى التى يجب أن أهتم بها وعلى رأسها تناول وجبة الافطار .. ولكن .. صوت رنين من جديد ..

ذهبت بسرعة الصاروخ لأرفع السماعة لأكتشف الحقيقة المذهلة أن منبهى متأخر ربع ساعة .. فوضعت السماعة فى هدوء وأوقفت صياح المنبه ..

بداية غير عادية ليوم عادى آخر ..

* * *

نفس اليوم : السبت الخامس من مارس ... الساعة : الثالثة عصرًا

توجهت إلى عيادتى لأمارس عملى المعتاد .. أجلس لساعات أستمع لمرضى يرون أنهم دائمًا على حق .. ولا يستطيعون قبول أية وجهة نظر أخرى .. وفى نهاية الجلسة أعطيهم رأيى الراجح ونصائحى التى لا تنتهى .. ففريق يستمع لها ولا يؤيدها وفريق لا يستمع لها ويؤيدها .. ناهيك عن الفريق الذى لا يستمع لها ولا يؤيدها .. ولكنى أقوم بواجبى على أية حال .. ومن يدرى ؟!

دخلت عيادتى .. فوجدت عددًا لا بأس به من الزبائن .. يبدو أن اليوم سيكون طويلاً .. ألقيت التحية على الجالسين ، ثم توجهت إلى الممرض .. رأيته منهمكًا فى الكتابة .. يريد أن يبين لى أنه يستحق ما يأخذه من أجر .. وربما يستحق ما هو أكثر .. يريد أن يثبت لى أنه منهمك فى العمل حتى إنه لم ينتبه لدخولى .. ولكنى متأكد أنه انهمك فى العمل عندما انتبه لدخولى .. انحنيت لأرى ما يكتبه .. وقلت :

ـ مساء الخير .

ـ مساء الخير .

رد التحية دون أن يرفع رأسه عن الأوراق .. أداء جيد لدور السكرتير المثالى الذى يغوص فى عمله من قمة رأسه حتى أخمص قدميه .. شمعة تحترق من أجل الآخرين ، سألته :

ـ هل سأل عنّى أحد يا (وائل) ؟

ـ وكيف لى أن أعرف ؟

تعجبت من رده .. كيف يقول هذا لـى بعد أن أقنعنـى بمثاليتـه فى العمل ؟! إن هذا يناقض تمامًا أداءه للدور .. كأن يقـوم ممثل بدور أخرس ، ثم يصيح فجأة : (كم الساعة الآن ؟) إن هذا يعد خروجًا عن النص .. أداء سيئ لدور السكرتير المثالى !!

قلت له غاضبًا :

ـ أليس من المفترض أن تعرف .. أخبرنى ما هو عملك إذن ؟

رفع رأسه عن الأوراق أخيرًا ، ثم نظر إلىّ بنظرة لامبالية ، ثم قال بهدوء :

ـ أخبرنى أنت لماذا أخبرك ؟

كان رده صادمًا .. توقعت منات الردود والتبريرات وقصائد أسف .. لكنى لم أتوقع مثل هذا الرد ، قلت له ساخرًا :

ـ مهلاً .. لحظة من فضلك .. من الذى يعمل عند من ؟

لوى شفتـه السفلى ورفع يديه ليعبر عن عدم معرفته .. أحيانًـا الإشارات تكون بليغة .. ولكنـى لـم أدر مـاذا أفعل .. كـان موقفًـا غريبًا .. مفاجئًا بمعنى أدق .. تخيل معى موقف المدير الذى اعتـاد توبيخ موظفيه واعتاد على سماع أعذارهم .. يفاجأ بأحدهم يخبره بأنه ليس على علم بأنه موظف عنده أصلاً .. ماذا يفعل حينها ؟!

تمـالكت أعصـابى كالعـادة .. لقد تحملت عشرات المرضـى .. لابأس فى تحمل ممرض .. قلت له متسائلاً :

ـ ألا تعرف حقًا ؟

ـ أخبرنى أنت .

ـ حسنًا .. أنا الطبيب وأنت ببساطة الممرض الذى يعمل عندى .

قال ، وابتسامته تلتهم وجهه :

ـ لا .. أنت مخطئ .. أنا لا أعمل عندك .. أنـا أعمـل عنـد طبيـب آخـر .

إن حديثه هذه المرة يأخذ منعطفًا آخر .. هل يود تـرك العمـل عندى ليعمـل عنـد طبيـب آخـر ؟ ولـو .. ألـم يجد طريقـة أخـرى أفضل لإعلان ذلك ؟ سألته :

ـ حسنًا .. طالمـا أنك تود تـرك العمـل هنـا لتعمـل عنـد طبيـب آخر .. لماذا تجلس هنا ؟

ـ أنا لن أترك العمل هنا أبدًا ؟

رده مطمئن .. ولكن !! لماذا كل هذا الحديث السابق .. لم أعد أفهم .. هل كان يمزح أم كان غائبًا عن الوعى ؟! علـى أيـة حـال قلت له :

ـ أهاه .. عادت إليك ذاكراتك الآن وتذكرت أنك تعمل عندى .. فلنحمد الله .. أريد منك الآن أن تُدخل لى من أتى أولاً كالعادة ، والذى قام بالحجز له الأولوية .. كما أفهمتك من قبل .

نهض من مقعده ، وصاح غاضبًا :

ـ أنا لا أعمل عندك .

يبدو أنه قد جُنَّ .. بالتأكيد قد جُن .. أعتقد أن سبب ذلك هو كثرة تعامله مع المرضى أثناء الحجز ومراقبتهم أثناء الانتظار .. تُرى ما الذى كان سيحدث له إذا كان يتعامل معهم أثناء الجلسة ؟ لا أستطيع التخيل ولكن ستكون الصورة مؤسفة .. قلت له بهدوء :

ـ ألم تقل منذ لحظة أنك لن تترك العمل هنا ؟

ـ نعم .

ـ لماذا إذن قلت منذ لحظة أنك لا تعمل عندى ؟

قال بحنق والشرر يتطاير من عينيه :

ـ لأننى بالفعل لا أعمل عندك .. أنا أعمل عند طبيب آخر .

من الواضح أن أحدنا لا يفهم الآخر .. ولا أعتقد أننى (الآخر) .. لذا قلت وقد نفد صبرى :

ـ لماذا تجلس هنا إذن ؟

أجابنى بكل بساطة الدنيا وعلى وجهه تلك الابتسامة البلهاء :

ـ لأن هذه هى عيادة الطبيب الآخر .

ما هذا ؟ هل أخطأت العيادة ودخلت عيادة أخرى تحت عيادتى أو فوقها فى نفس العمارة ؟ ولكن الديكور .. إنه نفس ديكور عيادتى .. هذه الكنبة وهذه المقاعد .

هذه الصورة الضخمة على الحائط .. ألوان الحوائط .. البلاط .. السجادة .. كل شىء .. حتى ذلك المسمار على الحائط .. أتذكره جيدًا .. لقد دققته لأعلق عليه الساعة ونسيت أن أعلقها .. وهناك أيضًا اللافتة التى يزينها اسمى والتى علقت أمام باب العيادة لتثبت بما لا يدع مكانًا للشك أن ...

ـ هذه هى عيادتى .

قلتها للممرض بغضب ، فردَّ علىَّ بغضب هو الآخر :

ـ لا .. ليست عيادتك .. وأنا أشك أنك طبيب أصلاً .

تمالكت نفسى .. وقلت محاولاً إنهاء هذا الحوار الصاخب بعد أن لاحظت قلق كل الجالسين .. أى نصف عدد الجالسين عند دخولى .. لقد فر النصف الآخر خوفًا على أرواحهم أو عقولهم :

ـ بالخارج توجد لافتة كتب عليها بخط كبير ما يؤكد أن هذه عيادة د. (ياسين العوضى) .

ـ وأنا لم أنكر ذلك ؟

ـ حسنًا .. أين هو د. (ياسين العوضى) هذا ؟ انظر حولك جيدًا .. ربما تراه .

ـ لا .. ليس هنا .. لم يأت بعد .

قلت له ضاغطًا على أسنانى وأنا أتجه إلى غرفة الكشف :

ـ حسنًا .. سأدخل الآن وسيكون (هو) فى الداخل بعد قليل .

فوجئت به يندفع نحوى ويعترض طريقى صائحًا :

ـ إلى أين ؟ كيف تريد أن تدخل هذه الغرفة هكذا وأنا لم أعرف اسمك بعد ؟ إن كنت مريضًا فادفع أولاً ، ثم انتظر هنا وستدخل عندما يحين دورك .. يوجد هنا نظام .. وأنا أحب من يتبع النظام .

يبدو أنه لا يمزح .. إن حالته سيئة .. لذا ابتسمت ابتسامة عريضة ، وقلت :

ـ أنا صديق د. (ياسين) .

ـ حسنًا .. انتظره هنا فى الصالة .

ـ لا .. لا يصح ذلك .. سيغضب د. (ياسين) جدًا إذا رآنى أجلس منتظرًا وسط المرضى .. سيغضب منك جدًا عندما أعلمه أنك السبب .

ظل شهرًا صامتًا .. يبدو أنه أدار الأمر فى عقله قبل أن يقول :

ـ حسنًا .. يمكنك انتظاره بالداخل ولكن لا تعبث بأى شىء .

هل يقصد ألا أكسر شيئًا أو ألا أسرق شيئًا ومنعه حياؤه من قول ذلك ؟! فوجئت به يسألنى :

ـ ما هو اسمك ؟ لم تخبرنى به بعد .

إن حالته ليست سيئة فقط .. تُرى هل فقد الذاكرة ؟ ربما .. هل هى حالة فصام ؟ ربما .. هل هى حالـ ...؟

قطع صوته المزعج تحليلى لحالته ، حيث صاح :

ـ اسمك من فضلك .

ـ أنا د. (أحمد سعيد) .

لا أعتقد أنه يمزح لأنى لا أقبل هذا النوع من المزاح فى العيادة وهو يعلم ذلك جيدًا .. ولكنى فوجئت به يقول ما جعلنى متأكدًا أن هذا هو آخر يوم له فى العمل عندى .. لأننى لا أوظف عندى

من سيكون أحد زبائنى .. لقد قال :

ـ طالما أنك طبيب وصديق د. (ياسين) .. لماذا قلت فى البداية إننى أعمل عندك وتسألنى من الذى سأل عليك وكأننى أعرفك ؟ لقد كان مزاحًا ثقيلاً .. لقد جعلتنى أعتقد أنك مريض نفسيًا لدرجة أنى فكرت فى الاتصال بالمستشفى .. يا لمزاح الأطباء !

تُرى إلى متى ستستمر حالته هذه ؟ حتى مماته أم أنها ستنتهى قبل ذلك بساعة ؟

على أية حال يبدو أننى مضطر للبحث عن ممرض آخر ..

ممرض عاقل .

لم أتوقع أن يأتى يوم تكون إحدى الحالات التى أعالجها هى ..

حالة (وائل) الممرض .

* * *

دخلت الغرفة وأنا لا أعرف ما الذى سيحدث بعد ذلك ..

هل سيُدخل (وائل) المرضى كالعادة أم أنه لايزال معتقدًا أننى لست الطبيب ؟ هل أظل هنا جالسًا منتظرًا حدوث شىء .. أم أبلغ عنه المستشفى ؟ لا .. لن أبلغ عنه قبل أن ألاحظ سلوكه وأتبين

السبب وراء ما حدث له ؟ هل أستدعيه وأسمعه كما أسمع بقية المرضى .. أطلب منه الجلوس على الشيزلونج أولاً ، ثم أشعل جهاز التسجيل وأبدأ بتدوين الملاحظات فى دفترى الصغير .. أسأله فى البداية (ما الذى جعلك تفكر فى الحضور إلى طبيب نفسى ؟) ولكنه سيجيب أنه يعمل هنا !!

وما زالت الأسئلة تنهمر بإصرار على رأسى ..

هل هو مريض فعلاً ؟

هل كان يمزح ؟

هل ...؟!

لا أعرف ماذا أفعل ...

و ... انتظرت .

و ... انتظرت .

حتى جاءت اللحظة التى أدركت فيها أن (وائل) قد عاد إلى طبيعته وبدأ يمارس عمله المعتاد فى إدخال المرضى حين سمعت طرقات على الباب .

كانت هذه هى أول مرة أرى فيها السيدة (منيرة) .

* * *

2 ـ الكل يريد قتلى ..

الجلسة الأولى :

اليوم : السبت الخامس من مارس ... الساعة : الثالثة والربع عصراً

اسمها (منيرة الكومى) .. أرملة .. لم تخبرنى بعمرها ولكنى أراها فى الخمسينات .. متوسطة الطول .. لاسمينة ولانحيفة .. وجهها !! بالرغم مما صنعته أنامل الزمن فيه إلا أنه برغم كل شىء جميل .. أعتقد أنها كانت فى شبابها ملكة جمال .. هى أيضًا أنيقة ترتدى ملابس على نمط سيدة الأعمال العصرية .. ولا أستبعد أن تكون عضوًا فى إحدى جمعيات المرأة التى تريد النيل من الوحش المفترس / الرجل .

سعلت عند جلوسها .. ربما تكون مدخنة تطبيقًا لمبدأ المساواة مع الرجل .. وللتأكد سألتها :

ـ هل تدخنين ؟

ـ أحيانًا .. لماذا تسأل ؟

بعد أن فرغت من تدوين البيانات التى قالتها لى عن نفسها .. طلبت منها الاسترخاء على الشيزلونج ، وطرح كل مايدور فى عقلها وكل مايجول فى صدرها ، مع وعد منى بأننى سأكون منصتًا جيدًا .. وهكذا جاء السؤال التقليدى :

ـ مِمَّ تشتكين ؟

فأجابت الإجابة المعتادة لأسمعها للمرة السابعة والعشرين بعد المائة الرابعة :

ـ إن حالتى خاصة جدًا يا دكتور .

ـ وبعد ..؟

ـ أنا فعلاً حالة خاصة جدًا يا دكتور .

ـ أصدقك يا بنيتى .

ـ شكرًا .

شكرًا على تصديقها أم شكرًا على (بنيتى) .. قالت مبتسمة :

ـ أنا لست صغيرة إلى هذا الحد يا دكتور .

وهكذا لم تطل حيرتى كثيرًا .. ومتأملاً ابتسامتها الخجولة سألتها بصيغة أخرى :

ـ ما الذى دفعك إلى المجىء إلى هنا ؟

ـ إذا كنت متضايقًا من مجيئى إلى هنا يمكننى الانصراف .

وهمت بالوقوف غاضبة .. فسألتها السؤال بطريقة أخرى :

ـ ما الذى جعلك تشعرين بأنك فى احتياج إلى طبيب نفسى؟

ـ وهل تراني مريضة نفسيًا ؟!

أصبحت واقفة الآن .. يبدو أنه لا مفر من السؤال التقليدى :

ـ مم تشتكين بالضبط ؟

عادت للجلوس ، وقالت بنبرة غاضبة :

ـ الآخرون .

ـ ومن هم الآخرون بالضبط ؟

ـ أقاربى .

ـ مـاذا ؟

ـ والشركاء .

ـ مـاذا ؟

ـ والعمال .

ـ مـن ؟

ـ والجيران .

ـ ومـن ؟

ـ بواب العمارة وزوجته وأولاده .

ـ ومن أيضًا ؟

ـ ساعى البريد .

ـ لحظة .. هل تذكرين لـى قائمـة بـالمدعوين علـى حفـل عيد ميلادك ؟

ـ لا .. إن ما أعنيه أن كل هؤلاء يريدون قتلى .

ـ كل هؤلاء ؟؟!!

أطلقت تنهيدة طويلة ، ثم قالت بحسرة :

ـ نعم .. للأسف .

ـ وهل هناك أحد على كوكب الأرض لم تذكريه ؟

نظرت لى نظرة غاضبـة .. يبـدو أن تعليقـى السـاخر لـم يـرق لها .. سألتها :

ـ ولماذا تعتقدين أن كل هذا الجيش يريد قتلك ؟

ـ أنا متأكدة من ذلك .

ـ وما الدافع ؟

ـ إنهم يريدون قتلى ليرثونى .

ـ ربما ترين هذا دافعًا بالنسبة لأقاربك ، ولكن ماذا عن البقية ؟

ـ شركائى ؟! يريدون الاستيلاء على الشركة .

ـ ما دخل العمال فى هذا الموضوع ؟

ـ إنهم أكثر الناس كراهية لـى .. يمكننى تبين نظرات الحقد والكراهية فى عيونهم .. إنهم يحسدوننى على ثروتى ويلعنون حظهم السيئ .. إنهم يتمنون موتى .. بل ويخططون له .

ـ وماذا عن الجيران ؟

ـ يريدون الاستيلاء على الشقة .

ـ أليسوا معك فى نفس العمارة ؟!

ـ نعم ولكن شقتى أفضل بكثير من شققهم .. أضف إليهم صاحب العمارة أيضًا .. إنه يريد إخراجى من الشقة .

ـ وبواب العمارة وزوجته وأولاده .. هل يريدون الحصول على شقتك أيضًا ؟

ـ لا .. ولكنهم سيكونون الأداة .. ألا تعلم أن معظم جرائم القتل تتم بمعرفة البواب أو باشتراكه فيها ؟

ـ لا ليس إلى هذا الحد .. هناك أيضًا السكرتيرة .

ـ ماذا ؟

ـ لا .. لاتنزعجى .. أنا أمزح فقط .. لأنى أرى أن كل ما قلته يفتقر إلى المنطق .. كل حديثك نهاية بالشك فى البواب .. ألا تعلمين أنه

عند حدوث أى جريمة سيكون أول شخص يلقى اللوم عليه هو البواب ، وستدور حوله الشكوك ؟ لذا من مصلحته ألا يحدث أى شىء تحت سمعه وبصره أو حتى خلف ظهره .

ـ ربما ، ولكن هذا لايمنع شكوكى فيه .

ـ حسنًا .. وماذا عن ساعى البريد ؟ هل يريد قتلك للاستيلاء على خطاباتك ؟

ـ لا طبعًا .. ولكنه مثل البواب سيكون أداة .. أداة قتل فى يد المجرمين .. ألا تعلم أنه بإمكانه الصعود إلى شقتى والهبوط منها وقتما يشاء دون أن يقول له أحد حرفًا .

ـ وهل هو الوحيد الذى يمكنه ذلك ؟

ـ لا .. هناك آخرون وأشك فيهم أيضًا .

ـ هذا يعنى أنك تضمين إلى القائمة .. اللبان والخضرى والمكوجى والزبال والـ ...

قاطعتنى قائلة :

ـ نعم .. كلهم فى القائمة .. لم أعد أثق بأحد .. لم أعد أتناول أى طعام عند أى أحد .. لم أعد أتناول أى طعام مكشوف .. أعيش على الأطعمة المحفوظة فى علب محكمة الغلق .. حتى المياه .. أشربها من زجاجات المياه المعدنية .. حتى أضمن أن أحدًا لم يدس لى فيها

شيئًا .. لقد أصبحت أشك فى جميع من حولى .

ـ من حولك ! هل لى أن أسألك سؤالاً ؟

ـ تفضل يا دكتور .

ـ هل أنا ضمن هذه القائمة ؟

ـ لا طبعًا .

ـ الحمد لله .. وشكرًا على هذه الثقة الغالية .

ـ بالتأكيد لا .. يا دكتور .. لا أستطيع أن أشك فيك لأنك ببساطة لم تعرفنى قبل اليوم ولا تعلم شيئًا عنى إلا ما أخبرتك أنا به منذ دقائق .. وهذا يعنى ..

وصمتت لأيام ، فسألتها فى فضول :

ـ وهذا يعنى ماذا ؟

ـ وهذا يعنى أن هذه الثقة مؤقتة .. فربما يصلون إليك أنت أيضًا ويحرضونك على قتلى ويدفعون لك الثمن ولكن .. تأكد أنى سأشعر بذلك .. حينها ستزول الثقة ويحل محلها الشك .. الخوف مما ستفعله بى .. هل فهمت يا دكتور ؟

* * *

3ـ بارانويا ..

(نفس الجلسة) ..

ـ « إن حالتك خاصة جدًا بالفعل .. »

قلتها ساخرًا ولكنها لم تنتبه إلى ذلك بدليل أنها قالت :

ـ ألم أقل لك يا دكتور ؟

عدت بظهرى للوراء وقلت لها بكل بساطة الدنيا :

ـ بارانويا Paranoia .

ظهرت عليها علامات عدم الفهم .. هذه استجابة طبيعية متوقعة .. قلت لها :

ـ بارانويا .. أنت تعانين من جنون الاضطهاد .

صاحت بكل غضب الدنيا :

ـ ماذا تعنى ؟ هل ترانى مجنونة ؟

قلت محاولاً تهدئتها :

ـ لا .. إنه فقط مصطلح نستخدمه لوصف الحالة .. إن ما أقصده هو أنك تشعرين بالاضطهاد .. تخشين الكل .. ترين أن الجميع اتفق على النيل منك .. نظرية المؤامرة .

ـ نظرية المؤامرة !! لا أفهم ماذا تعنى بنظرية المؤامرة .. هل هى نظرية مثل نظرية (فيثاغورث) ؟

أجبتها ساخرًا :

ـ إنها النظرية التى نفت نظرية (فيثاغورث) .

ظهرت عليها علامات عدم الفهم مرة أخرى .. وقبل أن تسأل قلت لها :

ـ إن ما يلزمك هو زيادة الثقة بالآخرين .

ـ كيف ؟ إن عالمنا أصبح غابة .. لم يعد هناك بشر .. الكل يريد أكثر من نصيبه .. يطمع فيما يمتلكه الآخر .. إن الأخ قد يقتل أخاه من أجل الحصول على ما يريد .. والدليل على حديثى ما ينشر فى الجرائد كل يوم .. فى صفحة الحوادث .. هل تقرأ جرائد يا دكتور ؟

ـ أحيانًا .

ـ أى صفحة تقرؤها يا دكتور ؟

ـ هل هذا السؤال إجبارى ؟

فوجئت بسؤالى الساخر ، فتراجعت قائلة :

ـ لا .. ولكنى كنت .. أقصد .. هل تقرأ صفحة الحوادث ؟

ـ لا .. لا أحب قراءتها .

ـ اقرأها مرة .. وفى أى يوم تختاره .. وسوف تجد ما أخبرك به .

ـ يا سيدتى .. لقد جئتنى اليوم لكى أعالجك من الـ (بارانويا) .. لا أن تزرعيها فىّ .

ـ ما أعنيه يا دكتور أن الأمر يستحق .. أنا على حق فى شكوكى نحو الآخرين .

من الواضح أنها من النوع الذى يستمع ولا يؤيد .. ولكنى سأحاول ..

ـ يا سيدتى .. هناك مثل شعبى يقول : (حرِّص ولا تخوِّن) .. أى اتخذى احتياطاتك ولكن لا تظهرى شكك فيمن حولك .. أو خوفك منهم .. أى لا تجعلى نفسك فريسة سهلة لهم ولا تشعريهم أنهم صيادون .

ـ إذن .. أنت متفق معى أننى فريسة وهم صيادون .

ـ لا .. لم أقل ذلك ولكن ما أعنيه أن تعيشى حياتك طبيعية جدًا .. لو أنهم يريدون قتلك فعلاً فإنهم لن يقتلوكِ علانية ولن يتركوا أدلة تثبت تورطهم .

ـ ما الذى تعنيه ؟

ـ أعنى أن تنمى ثقتك بالآخرين إلى حد ما .. كبداية .

ـ وكيف ذلك ؟

ـ إذا قدم لك أحد مشروبًا فتناوليه ؛ لأنه بالتأكيد لن يحاول قتلك وأنت فى مكتبه .. وهناك أيضًا شىء آخر يجب أن تنتبهى إليه .

ـ وما هو ؟

ـ إن خوفك الدائم منهم وشكوكك العلنية قد تحرضهم على القيام بما تخشينه .. فلو أنك رفضت تناول شىء قدموه لك فإنك بذلك تعلنين صراحة أنك تظنين أنهم قد وضعوا لك سمًا .. وهذا يعنى أنك تطرحين لهم فكرة التخلص منك بوضع السم فى الطعام أو المشروب .. مثال ذلك .. الأب الذى ينصح ابنه بعدم الهروب من المدرسة من أجل الذهاب إلى السينما فإنه بذلك يطرح فكرة الهروب من المدرسة بل ويطرح أيضًا فكرة الذهاب إلى السينما وهو بذلك يعلمه أيضًا أن مصروفه يكفى لشراء تذكرة سينما .. كان يمكنه بدلاً من ذلك أن يسأله : (ماذا أخذت اليوم فى المدرسة ؟) وهكذا يعرف إن كان ابنه قد ذهب أم لا .. يمكنه أيضًا أن يذهب بين الحين والآخر إلى المدرسة بهدف الاطمئنان عليه ويكون الهدف الخفى هو معرفة عدد مرات غيابه .. يمكنه أيضًا حث ابنه على تلقى العلم وأهمية الذهاب إلى المدر ...

قاطعتنى قائلة :

ـ دكتور .. هل تعتقد أن مشكلتى هروب ابنى من المدرسة ؟

ـ لا .

ـ لماذا إذن كل هذا الحديث ؟ لقد جعلتنى أشعر للحظات أننا فى مجلس آباء .

ـ آسف .. ولكن أعجبنى المثال خاصة النقطة التى ...

قاطعتنى صائحة :

ـ أستاذ .. الحصة انتهت .

ضحكت لتعليقها الساخر ، وقبل أن أعلق قالت :

ـ فى حالتى أنا ماذا أفعل ؟ هل أطلب منهم الذهاب إلى السينما وأدفع لهم ثمن التذكرة .

تعليقاتها الساخرة مذهلة .. لقد تفوقت علىّ .. قلت لها :

ـ بالنسبة لك .. لا أريدك أن تزرعى داخلهم فكرة خوفك منهم .. لا تظهرى قلقك .. إذا قدموا لك شيئا تناوليه إذا كان هذا أمام كثيرين .. وإذا اضطرتك الظروف ولم يكن هناك آخرون يمكنك أن تذكرى أى سبب طبيعى مقنع للامتناع .. هناك المئات منها مثلاً : (نصحنى الطبيب بعدم الإفراط فى شرب الشاى) .. (إن القهوة تسبب لى عسر هضم) .. (إن الحلويات تضرنى) .. (أنا أتبع حمية) .. إلخ ..

ـ جميلة هذه الأسباب .. لماذا لم أجربها ؟ للمرة الأولى تقول شيئًا مفيدًا يا دكتور .

لم تعجبنى جملتها ولقد لاحظت (منيرة) ذلك ، ولكنها تجاهلته وقالت :

ـ أريد منك يا دكتور أن تكتب لى قائمة بمثل هذه الحجج .

ـ أفهم من ذلك أن نصف حديثى الأول لم يعجبك .

ـ بالطبع يا دكتور .. إنك تريد منى الشرب إذا كان ذلك أمام كثيرين .. حسنًا .. من يضمن لى أن هؤلاء الكثيرين لم يتفقوا سويًا ؟

ـ يمكنك أن تقومى بالتحليل بعد ذلك لتتأكدى من هذه النقطة .. إن كانوا قد وضعوا لك مخدرًا أم لا .

ـ ومن أدراك أن المخدر الذى سيستخدمونه بطىء المفعول ؟

ـ حسنًا .. يبدو أنك ستعيشين حياتك كلها فى خوف وذعر ولن تتخلصى من هذه المشكلة أبدًا .

ـ أعيش دون أن أتخلص من هذه المشكلة أفضل من أتخلص من حياتى بهذه الطريقة .

قلت لها محاولاً سبر أغوارها :

ـ إن مجيئك إلى هنا أفهمنى أنك تشعرين بوجود مشكلة وأنك تودين التخلص منها .

ـ لا .. أنت مخطئ يا دكتور .. لقد جئت إلى هنا لأجد أحدًا أحدثه عن مخاوفى ولكن لا يعنى هذا بالضرورة أننى أرى أن مخاوفى ليست فى محلها .

ـ إنك بهذا تضعين عقبات فى طريق علاجك !!

نهضت من مكانها ، وقالت :

ـ ومن قال إننى أحتاج إلى علاج ؟

وحملت حقيبتها واتجهت ناحية الباب غاضبة .. ولا أعلم لماذا لم أمنعها .. فقط جلست أشاهدها وهى تقبض بيديها على مقبض الباب وتديره وتفتح الباب ..

ربما لم أمنعها لأنى واثق من رغبتها فى البقاء ..

لمحتها تختلس النظر بهدوء إلى الخارج وكأنها تراقب شيئًا ما ... هل تشك فى وجود قاتل ينتظرها هنا فى عيادتى ؟

نظرت ناحيتى ولم تخرج بل أغلقت الباب بهدوء ولكنها لم تغلقه نهائيًا بل تركت فرجة صغيرة تراقب من خلالها شيئًا ما بالخارج ، سألتها بهدوء :

ـ هل (سلفستر ستالونى) ينتظرك بالخارج ليقتلك ؟

ابتسمت لى ابتسامة عريضة جدًا لتؤكد لى أن الدعابة لم ترق لها ، ثم قالت :

ـ تحدث فى أى شىء وسأستمع إليك من هنا وأرجو ألا تعتبر

هذا تصرفًا سخيفًا ولكنى أريد ذلك بالفعل .. قل أى شىء ولاتتوقف عن الحديث .. تحدث وكأننى أجلس أمامك .

ـ ولِمَ هذا ؟

ـ تحدث فقط وأنا أسمعك جيدًا من هنا .

ـ وفى أى شىء أتحدث ؟

ما زالت تقف عند الباب تسترق النظر إلى الخارج ، وهى تقول :

ـ مثلاً .. أكمل نصائحك .. ما الذى يجب أن أفعله ؟

وضع غريب من نوعه .. أجلس أنا على مقعدى والمريضة بدلاً من استرخائها على الشيزلونج تقف عند الباب تراقب شيئًا ما بالخارج .. وفى هذا الوضع العجيب قلت :

ـ أولاً : يجب أن تجعلى الآخرين يحبونك ويحرصون على حياتك .. كوِّنى علاقات طيبة معهم .. ثانيًا : ثقى فى الآخَرين .. أعلم أن هذا شىء صعب ولكن يمكنك بالتدريج فعلها .. جرِّبى أن تشربى ما يقدمونه لك حتى لو اضطررت بعدها للذهاب للتحليل للتأكد .. ونتيجة التحليل ستثبت لك أنك كنت واهمة .. يمكنك أيضًا التعامل مع الخضرى واللبان والجزار وبائع الفاكهة .. اشترى منهم أى كمية حتى لو أنك لن تتناوليها .. يمكنك تجربتها على قط لو أن لديك واحدًا فإذا لم يحدث له شىء فإنك بذلك قد تأكدت أنهم أبرياء .. ويمكنك بعدها أن ...

فجأة تراجعت إلى الوراء ، ثم فتحت الباب على مصراعيه وانطلقت إلى الخارج دون أن تلقى كلمة .. وهكذا انتهت الجلسة الأولى للسيدة (منيرة الكومى) .

* * *

نفس اليوم .. الساعة : الرابعة عصرًا ..

انتظرت دخول الحالة التى تليها .. ولما طال انتظارى دققت الجرس ولكن .. لم يدخل أحد .. آه .. لقد تذكرت .. إن حالة (وائل) اليوم سيئة .. لقد جعلتنى حالة السيدة (منيرة) أنسى حالة (وائل) وأنا الذى اعتقدت أنه قد عاد إلى رشده عندما أدخل السيدة (منيرة) .

خرجت لأراه ولكنى لم أجده بالصالة ، فسألت المرضى المنتظرين ..

ـ أين (وائل) ؟ ذلك الممرض الذى ..

أجاب أحد الجالسين وكان يدخن سيجارة :

ـ لقد قال إنه سيحضر طعامًا لنفسه وسيعود بسرعة .

قلت له غاضبًا :

ـ من فضلك .. أطفئ سيجارتك .. ألم تقرأ تلك اللافتة ؟

استجاب على الفور وأطفأ سيجارته دون أن ينظر حتى إلى اللافتة .. أحب ذلك النوع من البشر الذى يسمع ويؤيد أما ذلك المهمل

فسيكون اليوم هو آخر يوم له فى العمل عندى .. ولكن .. متى سيعود ؟ وماذا أفعل حتى ذلك الحين ؟

اتجهت إلى مكتبه لأرى عمله .. كثير من الجرائد على المكتب .. أين ذلك الدفتر الذى يدون به الأسماء والمواعيد .. هه .. ها هو .. نظرت بدقة فى الصفحة المفتوحة فيه .. بحثت عن اسم (منيرة الكومى) حتى أعرف اسم المريض الذى يليها .. بحثت وبحثت ولكن .. لاتوجد (منيرة) أو حتى (الكومى) .. ولا أظن أنها استخدمت اسمًا مستعارًا .. لا أفهم كيف يقوم بترتيب الأسماء هنا .. ولم أعرف من الذى جاء دوره فى الدخول .. ما العمل الآن ؟ لن أجلس هنا منتظرًا إياه .. لذا لم أجد أمامى سوى أن ...

ـ من أتى أولاً ؟

صاح أحدهم :

ـ أنـا .

فصاح آخر :

ـ لا بل أنا .. أنا من أتيت أولاً ، ولقد حجزت لنفسى موعدًا منذ يومين .

وقبل أن يصيح ثالث ظهر أمامى (وائل) محملاً بأنواع شتى من السندويتشات .

وقبل أن أوبخه بجملة نارية حضرتها له ، فوجئت به يقول :

ـ أمازلت هنا ؟ لقد اعتقدت أنك خرجت .

ـ ولهذا انتهزت الفرصة لتحضر لنفسك ما تأكله .. كان يمكنك الاستئذان ولم أكن لأرفض .

قال ، وكل براءة الدنيا فى عينيه :

ـ ولماذا أستأذن منك ياد. (أحمد) ؟

رددت الاسم متعجبًا :

ـ د. (أحمد) ؟!

قال لى بكل بساطة :

ـ نعم .. ألم تقل لى إنك د. (أحمد سعيد) .. صديق د. (ياسين) ؟

ضربت سطح المكتب بقبضتى .. وصحت :

ـ لا .. عند هذا الحد .. وكفى .

ـ ما الذى تعنيه ؟

ـ أعنى أنك إذا كنت تريد إجازة وتقوم بهذه التمثيلية لتثبت لى مرضك فلك هذا ويمكنك الحصول عليها من الآن .. أما إذا كنت تريد أن تثبت لى أن إرهاقك فى العمل أثر على عقلك وتريد علاوة مثلاً فكان يمكنك طلبها منى على نحو أفضل من هذه الطريقة أما إذا كنت تريد أن تـ ...

قاطعنى قائلاً :

ـ بصراحة .. لا أفهم عمَّ تتحدث بالضبط ؟ بل إننى أصبحت أشك فيك .. هل معك ما يثبت أنك د. (أحمد سعيد) ؟

ـ بالتأكيد لا .. لأننى لست د. (أحمد سعيد) .

سألنى بكل برود والبراءة فى عينيه :

ـ من أنت إذن ؟

* * *

4ـ لكل جواد كبوة ..

نفس اليوم .. الساعة : الرابعة والثلث عصرًا ..

أشرت إلى صدرى غاضبًا ، وصحت قائلاً :

ـ أنا د. (ياسين العوضى) وهذه العيادة عيادتى وأنت (وائل السيوى) الذى يعمل عندى حتى يومنا هذا .. حتى يومنا هذا فقط .

لم أستطع فهم التعبير الذى ظهر على وجهه .. هل هو الدهشة أم الغضب أم الضجر أم أنه خليط منها أم أنه شىء آخر ؟ على أية حال قلت له :

ـ يؤسفنى أن أخبرك أننى لم أعد راغبًا فى عملك عندى .. يمكنك أخذ جميع متعلقاتك وسوف أصرف لك مرتب هذا الشهر مع مبلغ مالى آخر تستعين به على تحمل نفقات المعيشة حتى تجد عملاً آخر .. ولو قلت لى كلمة أخرى من تخاريفك التى تقولها منذ الصباح لن تأخذ مليمًا واحدًا منى وسأتصل بالمستشفى على الفور .. وأنت تعلم جيدًا ما الذى سيحدث حينها .

رأيته يضع ما كان يحمله من طعام على مكتبه واتجه ناحيتى وكان تعبير الغضب على وجهه جليًا هذه المرة ، ثم قال :

ـ الآن فهمت .. حسنًا .. يبدو أننى موعود برؤية أمثالك ، ما أود

قوله لك الآن هو .. اخرج من هذه العيادة الآن قبل أن أحطم هذه المنضدة على رأسك وسأدخل السجن بعدها مرتاح الضمير .

* * *

لا أحب استخدام العنف ..

العنف لا أستخدمه إلا عند الضرورة القصوى .. وحينما لايكون هناك حل سواه .. لذا لم أرد استخدامه مع (وائل) ..

إن وائل شاب مسكين .. من المحتمل أن ما أصابه بسبب تعامله الكثير مع المرضى .. لا أعتقد أن حالته ستستمر طويلاً .. سيأتى اليوم الذى يعود فيه إلى حالته الطبيعية .. ولكن .. متى سيحدث ذلك ؟ الله وحده يعلم .

لقد رفع المنضدة عاليًا وأخبرنى أنه يريد التأكد من متانتها عندما أصررت على عدم الخروج من العيادة .. كان من الممكن حدوث جريمة .. لقد رأيت نظرات شيطانية فى عينيه .. تأكدت أنه لن يتردد فى تحطيمها على رأسى .. لقد أظهر لى عزمه على دخول السجن .. لذا اتخذت إستراتيجية (الاستسلام) .

هذه الإستراتيجية التى أستخدمها كثيرًا مع المرضى .. لم أتوقع أن أستخدمها يومًا مع الممرضين .

خرجت من العيادة بهدوء .. وقبل مرور خمس دقائق اتصلت بالمستشفى .. هى التى ستضع حدًا لهذه المهزلة (ممرض يطرد طبيبًا من عيادته) .. من يصدق ؟!

عندما رفعت السماعة تمنيت أن يرد علىّ أى شخص آخر غير (قدرى) .. إن (قدرى) صديق (وائل) .. وسيؤلمه كثيرًا هذا الخبر عن صديقه .. الحمد لله كان (صفوت) .. طلبت منه أن يأتى هو و(عزمى) إلى عيادتى ليأخذا (وائل) .. طبعًا لم يصدق فى البداية .. كان هذا متوقعًا .. طلبت منه أيضًا أن يتم الأمر بسرية وبصفة غير رسمية .. لا أريد أن أحطم مستقبل هذا الشاب .. إنه لم يتزوج بعد ويعول أسرته .. أمه وإخوته .. لذا إذا افتضح أمره من الذى سيرضى بتزويج ابنته له ومن سيرضى بتوظيفه عنده ؟ سيكون الأمر بمثابة فضيحة تقضى على مستقبل الجميع .. والموضوع لا يستحق ذلك .. إنها أزمة وستمر سريعًا .. سيدخل (وائل) المستشفى وكأنه عاد للعمل فيها .. هذا ما سنقوله للجميع .. واستوعب (صفوت) ما أقوله .. ووعدنى بتنفيذه على الفور ..

عدت إلى العيادة بعد ساعة من اتصالى .. إن الساعة مدة كبيرة جدًا .. لابد أنهم جاءوا وأخذوه .. توقعت أن أجد باب العيادة مغلقًا .. لابد أنهم أغلقوه بعد رحيلهم .. ولكنى وجدت الباب مفتوحًا .. هل هذا يعنى أنهم لم يرحلوا بعد ؟ دلفت إلى العيادة .. وجدت مرضى جالسين و(وائل) جالسًا أمام مكتبه يقرأ جريدة .. هل هذا يعنى أنهم لم يأتوا بعد ؟ فجأة .. لمحنى .. أتمنى أن يكون قد عاد إلى حالته الطبيعية .

* * *

نفس اليوم .. الساعة : الخامسة والنصف تقريبًا ..

ـ « أنت مرة أخرى » ..

صاح (وائل) بهذه الجملة بمجرد أن لمحنى واقفًا عند باب العيادة .. أدركت على الفور أنه لم يتحسن ..

تقدمت إليه بهدوء .. ربما الحديث يأتى بنتيجة مثمرة ، لذا قلت :

ـ وائل .. اسمعنى جيدًا .

نهض متذمرًا وعقد ذراعيه أمام صدره ، وقال :

ـ أفندم .

تغاضيت عن تذمره ، وتابعت قائلاً :

ـ أنا د. (ياسين العوضى) .. لابد أن تقبل هذه الحقيقة .. لاأعرف ما الذى حدث لك ولكن لاتقلق .. إنها كبوة .. ولكل جواد كبوة .. وسوف تتجاوزها بإذن الله .. يمكننى معالجتك وسوف تساعدنى فى هذا الأمر .. فقط ستدخل معى الآن وتسترخى على الشيزلونج وتفرغ كل ما فى صدرك وعقلك وأعدك أننى سأصل بك إلى بر الأمان .. ستكون مجرد جلسة عادية تفضفض فيها ..

وضربت كتفه بقبضتى برقة مازحًا ، وقلت :

ـ ولن تدفع مليمًا فى هذه الجلسة .. ما رأيك الآن ؟

خفض رأسه ثم رفعها لأرى وجهه لايحمل أى تعبير ، ثم قال :

ـ حسنًا .. موافق .. ولكن أمهلنى دقيقة .

ـ تفضل .

تركنى ودلف إلى المطبخ .. لا أعرف لماذا ولكن .. المهم أنه أبدى موافقته .

وهذه هى الخطوة الأولى فى العلاج الناجح لأى مريض نفسى .. أن يتقبل مرضه ويسعى فى علاجه .

خرج بعد أقل من دقيقة حاملاً المكنسة ويلوح بعصاها ، وهو يصيح قائلاً :

ـ اخرج الآن ولا أريد أن أرى وجهك هذا هنا مرة أخرى .

تراجعت قائلاً :

ـ لا تفعل هذا أمام المرضى .. أنا أحذرك .. إنك هكذا تثير ذعرهم .

التفت إلى المرضى الجالسين فى ذعر .. الذين جلبهم حظهم السيئ إلى عيادتى فى هذا اليوم .. خفض المكنسة ، وقال :

ـ إن كانوا يهمونك إلى هذا الحد لاتأتى إلى هنا مرة أخرى .. إن مظهرك يدل على أنك رجل محترم لماذا تضطرنى إلى التعامل معك بهذه الطريقة ؟

رجل محترم .. أهذا كل ما يراه ؟ إن حالته تتدهور باستمرار .. ويبدو أن (صفوت) لم يأتِ بعد .

خرجت من العيادة واتصلت بالمستشفى ورد علىّ (صفوت) ، وقال :

ـ إن (وائل) سليم جدًا .

ـ ماذا تقول ؟

ـ ما سمعته جيدًا .. لقد ذهبنا إلى هناك ووجدناه أكثر منا عقلاً وحكمة كعادته .

ـ عقلاً وحكمة !! ليتك حضرت إلى العيادة منذ دقيقة لتراه وهو حاملاً مكنسة ويرفعها فى وجهى ويهددنى بها .

ـ وجه من ؟ من أنت أصلاً ؟

ـ من أنا ؟! أنا د. (ياسـ...

ما هذا ؟ لقد انقطع الاتصال .. هل وضع السماعة أم أنه الخط؟ اتصلت مرة أخرى ليرد علىّ (صفوت) و ...

ـ ما الذى حدث ؟ لقد انقطع الاتصال فجأة .

ـ أنت !!

وتقطع الاتصال مرة أخرى .. أعتقد أن المسألة ليست بسبب الخط .

إن (صفوت) صديق (قدرى) .. و(وائل) كان زميلهم فى المستشفى يومًا ما قبل عمله عندى فى العيادة .. لابد أنهم جميعًا يتعاطفون معه .. لابد أنهم لايقبلون فكرة أن صديقهم صار مريضًا .. لا ألومهم على ذلك .. ولكن عواطفنا هذه قد تضر الآخرين .. لايجب السماح بالحرية لمرضى قد يعرّضون حياة الآخرين للخطر ..

وهكذا لم أجد أمامى سوى اللجوء إلى الشرطة .

* * *

5ـ أنت .. مرة أخرى ..

نفس اليوم .. الساعة : السادسة إلا الثلث تقريبًا ..

ذهبت إلى قسم الشرطة وشرحت لهم الموقف كاملاً فوعدونى باتخاذ الإجراءات اللازمة والتحرك على الفور فطلبت منهم على استحياء أن ينفذوا الأمر بهدوء دون أن يثيروا ضجة .. مازلت أرى أن (وائل) لايستحق ذلك وكلنا معرضون لأى أزمات نفسية مفاجئة .. وذلك الشاب كان ينتظره مستقبل واعد وربما لايزال .

خرجت من قسم الشرطة وتوجهت إلى شقتى .. لا أريد أن أكون معهم وهم يقبضون على (وائل) .. أعتقد أن الموقف سيكون صعبًا .

نمت لمدة ساعة .. لقد ضاع اليوم بسبب (وائل) .. من كان يصدق أن هذا سيحدث ؟ لم أكن أتوقع أن يمر اليوم على هذا المنوال .. لم يكن يومًا عاديًا على الإطلاق .

ارتديت ملابسى وقررت الذهاب إلى العيادة .. حينما دق جرس التليفون و ...

ـ آلو .. آلووو .

لم يرد أحد .. وكأن هذه المكالمات هى ما ينقصنى .. أعدت السماعة إلى مكانها بعنف .. ليس لدى عقل رائق لأنشغل بها .. لابد أنها نفس مريضة أرادت التسلية ولم تجد سوى هذه الطريقة

القديمة ؛ لذا طلبت رقمًا عشوائيًا و ... ولكن هذه ليست المرة الأولى هذا اليوم .. إن الرقم ليس عشوائيًا .. هل يريد أحد التأكد من عدم وجودى فى الشقة ؟!

* * *

نفس اليوم .. الساعة : السابعة إلا الربع تقريبًا ..

أصعد درجات السلم إلى عيادتى مترددًا .. تُرى هل سأجدها مغلقة كما أتمنى ؟ أم أننى سأجدها مفتوحة كما حدث فى المرة السابقة ؟ أتمنى ألا أجد (وائل) مازال جالسًا هنا .. بالتأكيد رجال الشرطة يختلفون عن رجال المستشفى / أصدقائى .

ولكن .. للأسف .. وجدت عيادتى مفتوحة .. لا أعرف السبب ولكنى رأيت (وائل) مازال بالداخل .. ما الذى حدث هنا خلال الساعة الماضية ؟ الله أعلم .

أتمنى الآن أن يكون (وائل) قد عاد إلى طبيعته .. سيكون ذلك أفضل للجميع .

نظرت نحوه متوجسًا خيفة .. متوقعًا فى أى لحظة أن ينظر نحوى .

نظرت إلى المرضى .. كان عددهم كبيرًا .. إن (وائل) يستقبل المرضى طوال اليوم ويمنعنى فى نفس الوقت من معالجتهم ..

لقد حرم الكثير من جلساتهم العلاجية اليوم بتصرفه هذا وحرمنى من ممارسة عملى .. لو أنه منعنى هذه المرة أيضًا لسوف !!

ـ « مساء الخير يا (وائل) » .

قلتها بطريقة عادية وكأن شيئًا لم يحدث اليوم .. ربما تنجح هذه الحيلة وتعيد إليه عقله .. وانطلقت إلى غرفتى دون انتظار رد التحية .

وقبل أن تصل يدى إلى مقبض الباب ، سمعت صوته خلفى يقول :

ـ أنت .. مرة أخرى !

أدركت على الفور أن حالته لم تتحسن .. اتجهت إليه واصطحبته إلى حجرة الكشف فسار معى هادئًا ولم تصدر منه أى حركة عدوانية .. يبدو أننى سأصل معه إلى نتيجة .

طلبت منه الاسترخاء على الشيزلونج .. واستعددت لجلسة خاصة جدًا ..

جلسة من أجل ممرض .

ولكنه رفض ..

رفض أن يجلس ورفض اعتباره مريضًا .. إنه يرى أننى المريض .. قلت له :

ـ أنا د. (ياسين العوضى) .. لماذا تنكر هذه الحقيقة ؟ أم أنك لا تتذكرها ؟ هل حدث لك فقدان ذاكرة هستيرى مثلاً ؟

ـ أنا لم أنس شيئًا .. وأنت لست د. (ياسين العوضى) .. أنا لا أعرفك على الإطلاق ولم أرك قبل اليوم .. ولكنى أعرف د. (ياسين) جيدًا ، وأنت لست هو .

وقبل أن أتفوه ببنت شفة ، قال :

ـ أتعرف ما هو أسوأ شىء فى المرضى النفسيين ؟

وقبل أن أجيبه .. رد بسرعة وكأنه لا ينتظر جوابًا :

ـ إنهم لا يعرفون أنهم مرضى .. إنهم يرون أنهم على حق والآخرون هم المرضى .

ـ كدت أقول نفس الجملة .. أتعرف لماذا ؟

ـ لماذا ؟

ـ لأنى من علمتك إياها .

ابتسم فى غضب ، وقال :

ـ حسنًا .. يبدو أنك تعتقد أن الجملة تنطبق علىّ .. أى أننى أنا المريض ولا أدرى بذلك .. حسنًا .. أريد منك الخروج فورًا وإلا سأخرجك بطريقة لن ترضى عنها أبدًا .

استسلمت .. أنا لا أريد شجارًا فى عيادتى .. خرجت من الغرفة ببطء وعقلى يعمل بأقصى سرعة .. لا بد من حل سريع وحاسم لهذه المهزلة .. وعندما أصبحت فى الصالة جاءنى الحل على طبق من ذهب .. كان (وائل) خلفى مباشرة يدفعنى بيديه للخارج .. توقفت

قليلاً ونظرت فى وجوه المرضى .. لم يكونـوا كلهم وجوهًا جديدة .. وهذا لحسن حظى .. كانت هناك وجوه مألوفة .. اتجهت إلى رجـل فى الأربعينات من عمره يكتب شيئًا ما فى مفكرة صغيرة فأوقفته .. وسألته بهدوء :

ـ السيد (عزت الجمال) .. أليس كذلك ؟

هزّ الرجل راسه بالموافقة فنظرت إلى (وائل) قائلاً :

ـ كيف لى أن أعرف اسمه ؟!

ثم اتجهت إلى الرجل ، وسألته بمرح :

ـ من أنـا ؟

تأمل الرجل وجهى مليًا ، ثم قال بهدوء :

ـ لا أعرف .

* * *

6ـ شهود إثبـات ..

نفس اليوم .. الساعة : السابعة تقريبًا ..

فوجئت بإجابة الرجل الصادمة .. وأنا الذى توقعت أننى قد أجـد بارقة أمل فى علاج (وائل) عن طريق سؤال ذلك الرجل .. كيف لا يعرفنى وأنا طبيبه ؟! كيف ؟

لمحت نظرات الانتصار فى عينى (وائل) .. تجاهلتها وسألت (عزت) من جديد :

ـ (عزت) .. كيف لا تعرف ...

فجأة تذكرت .. لذا قلت بسرعة لـ (وائل) لأفسر له ما حدث :

ـ إنـه مصـاب بداء (الزاهيمر Alzhheimer) .. لقـد أتى إلىّ للعلاج منه .. ليس شيئًا غريبًا ألا يتذكرنى .

ابتسم (وائل) ابتسامة صفراء بغيضة ، وقال :

ـ ربما وحتى يشفى لا أريد أن أرى وجهك هنا .

طبعًا لم أكن لأستسلم بسهولة بعد أن توصلت إلـى الحل ؛ لذا بحثت عن وجه آخر مألوف .. أهاه .. ذلك الشاب المتأنق و ...

ـ (شريف صادق) .. أنت الذى ستخبره بالحقيقة .

نظرة (شريف) المرتابة لا تبشر بخير .. ابتسمت حتى أحاول كسب مودته ، وقلت :

ـ أرجو ألا تخذلنى أنت الآخر .. من فضلك .. أخبر (وائل) الآن من أنا .

لم ينطق بكلمة ولم تتغير نظرته .. سألته من جديد والأمل يضعف تدريجيًا :

ـ ألا تتذكرنى ؟ (شريف) انظر إلىّ جيدًا .. أنا أعلم جيدًا أنك تتمتع بذاكرة قوية .. وأعلم أنك لا تعانى سوى من الـ ...

الآن فهمت .. الآن عرفت سر هذه النظرة المرتابة على وجه (شريف) .. نظرت إلى ملابسى ولعنت حظى السيئ الذى جعلنى أرتدى القميص الأبيض اليوم .. قلت :

ـ آسف يا (شريف) على ارتدائى هذا القميص .. ولكنى لم أكن أعلم أنك ستأتى اليوم .

إن (شريف) يتمتع بذاكرة قوية حقًا ولكنه يعانى من (Leukophobia) وهى الرهاب من اللون الأبيض .. ينتابه الخوف إذا رآه .. لذا وبأقصى سرعة خلعت القميص الأبيض حتى أكسب ثقته ، فيستعيد هدوءه ، ويخبر (وائل) بالحقيقة .

لم يندهش (وائل) من تصرفى .. ربما لأنه يرانى مريضًا ، وهذا تصرف طبيعى بالنسبة لمريض .. رائع !

رفعت القميص الأبيض عاليًا وأشرت إليه :

ـ ها هو القميص .. سألقيه بعيدًا .. يمكنك الآن التحدث .

رأى (شريف) القميص الأبيض أمام عينيه مباشرة .. لم أكن أخيفه بل كنت أشرح ، ثم لمحته ينظر إلى صدرى ، فتساءلت : هل أنا مضطر لخلع الفانلة البيضاء أيضًا ؟

ولكنى لم أستمر فى تساؤلى كثيرًا لأنه قد فر من أمامى هاربًا وكأنه رأى ثعبانًا .

طبعًا لم أستسلم .. مازلت أرى الحل جيدًا ولكنى أسأت اختيار شهود الإثبات .

يجب أن أجد شاهدًا لا يعانى من داء (الزاهيمر) ولا يخاف من اللون الأبيض .

بحثت عن وجه آخر ووجدته .. كان (صلاح فايز) ..

لم أقل أى مقدمات .. سألته مباشرة باقتضاب :

ـ من أنا ؟

نفس النظرة التى فى عينيه رأيتها من قبل .. رأيتها منذ قليل .. كانت فى عينى (شريف) .. بحثت فى ذاكرتى عن مأساة (صلاح) .. ترى مم كان يعانى هو الآخر ؟

تذكرت .. وابتسمت .. يبدو أننى لن أجد شاهدًا سويًا هنا .. ارتديت قميصى على عجل وخرجت فى هدوء ، فسألنى (وائل) بجذل :

ـ هل اقتنعت أخيرًا أنك لست د. (ياسين) ؟

ابتسمت ، وقلت ساخرًا :

ـ أتعرف ما هو عيب العمل كطبيب نفسى ؟

سألنى بفضول عجيب :

ـ ما هو ؟

ـ أنه لا يمكنه الاعتماد على حديث مرضاه .. ولن يأخذ أحد بشهادتهم فى نفس الوقت .

ـ معك حق .. ولكن يجب أن تعلم أننى لست مريضًا وأنك لست د. (ياسين العوضى) .

ـ أنا د. (ياسين) ولا أحتاج إلى شهود لإثبات ذلك .. سأتصرف الآن فقط لأحضر رجال الشرطة وهم قادرون على إخراجك من العيادة .. ليس أمامى سبيل آخر الآن .. أنت الذى تضطرنى لذلك .

ـ افعل ما يحلو لك ، ولكنك لست د. (ياسين) .

يدهشنى إصراره على موقفه .. لقد كان طبيعيًا جدًا بالأمس ..

ما الذى حدث له بين يوم وليلة ؟ سألته وقد يفيدنى هذا السؤال فى إقناعه .. لا بأس من المحاولة :

ـ إذا لم أكن أنا د. (ياسين) ، فأين هو ؟ لماذا لم يأتِ إلى عيادته اليوم .. أم أنه أتى ؟

لم يرد (وائل) على الفور .. ربما يدير الأمر فى رأسه ، ثم قال فى النهاية :

ـ لم يأت اليوم .. ربما كان مريضًا .. ربما حدث شىء له .. الله أعلم ولكنك لست هو .

يبدو أنه لا فائدة .. ولو سألته عشرات الأسئلة لأقنعه سيبحث عن مئات الأجوبة لإقناعى .. لذا هبطت السلالم فى هدوء عندما سألنى :

ـ لماذا لم تنتظر رد (صلاح) على سؤالك ؟ هل خشيت أن تصدمك الحقيقة ؟

ـ لا .. ولكنه لم يكن ليجيب بشىء .. إن اختيارك لألوان ملابسك اليوم كان موفقًا ، أما أنا فلا !! أتعلم أن (صلاح فايز) يعانى من (Melanophobia) .. وهى ـ إن كنت لا تعلم ـ الرهاب من اللون الأسود .

نظر (وائل) إلى بنطلونى الأسود وابتسم .. لقد فهم الأمر .

ولكن ألا يشعره ذلك برجاحة عقلى ؟ ربما .. على أى حال ..

لم يكن أمامى سوى حل واحد أكسب به ثقة (صلاح) فيثبت للجميع أننى د. (ياسين) .. ولكن هذا الحل لو استخدمته سأثبت للجميع أننى .. مختل عقليًا !!!

* * *

نفس اليوم .. الساعة : السابعة والربع تقريبًا ..

اتجهت إلى قسم الشرطة لأستفسر عن الأمر فقال لى الضابط :

ـ لقد ذهبنا بالفعل .. وبدا لى الممرض طبيعيًا جدًا وأحضر لى ما يثبت هويته وما يثبت أنه يعمل عندك فى العيادة .

ـ إنه كذلك بالفعل .. وأنا لم أنكر ذلك .. أنا أشكو من كونه لا يتذكرنى .. لا يتذكر أننى د. (ياسين العوضى) .. أشكو من منعه إياى من دخول عيادتى وممارسة عملى .

ـ فهمت قصدك .. حسنًا .. سنذهب بعد قليل وستأتى معنا وإن كان ما تقوله صحيحًا وثبت لنا ذلك .. سنمكنك من دخول العيادة ونقبض عليه وإن ثبت جنونه سنحوله إلى المستشفى .. هل هذا ما تريده ؟

ـ تمامًا .

وبالفعل .. مرت دقائق بعدها اتجهنا إلى العيادة وحمدت الله أنها ما زالت مفتوحة .

كان (وائل) جالسًا فى الصالة وخلت العيادة تمامًا من المرضى .. لقد ضاع اليوم هباء .. لم أجلس اليوم مع المرضى سوى السيدة (منيرة) التى تعانى من (البارانويا) .

نظر (وائل) إلىّ وابتسم ، ثم قال :

ـ لقد استدعيت الشرطة بالفعل !!

ـ هل كنت ترانى أمزح فيما أقوله ؟

ـ لا .. ولكنى لم أكن أعتقد أنك مقتنع بما تقوله إلى هذا الحد ؟

ثم اتجه إلى الضابط بكل ثقة ، وقال :

ـ إن جميع أوراقى سليمة .. لقد عرضتها على حضرتك من قبل .

قال الضابط ، وهو يدور حول (وائل) :

ـ إن د. (ياسين) قدم بلاغًا ضدك .. يقول إنك تمنعه من دخول عيادته .

قطب حاجبيه ، وصاح غاضبًا :

ـ لا .. أنا لم أفعل .. فلتقطع يداى إن فعلت ذلك .

نظر الضابط إلىّ متعجبًا .. فاتجهت إلى (وائل) ، وقلت :

ـ ألم تمنعنى اليوم أكثر من مرة من دخول عيادتى ؟

ـ نعم .. وسوف أمنعك إن حاولت .. لن تدخل إلى هنا إلا إذا كنت مريضًا ، وسوف تدفع قبل دخولك إلى الدكتور كأى مريض آخر .

قال الضابط متعجبًا :

ـ ما الذى تعنيه ؟

ـ أعنى أننى لن أمنع د. (ياسين) أبدًا من دخول عيادته ولكن هذا ليس د. (ياسين) .

نظر إلىَ الضابط بحيرة ، و(وائل) يتابع قائلاً :

ـ اطلب منه يا حضرة الضابط أن يثبت أنه د. (ياسين العوضى) .

واتجهت كل العيون إلىَ فى لحظة واحدة وعلامات استفهام فوق رءوس الجميع .

* * *

لماذا أحمل بطاقتى وأنا متجه إلى عيادتى ؟!

طبعًا لم أكن أحملها حين سألنى الضابط عنها .. أنا لا أحب حمل البطاقات عامة .. هل أنا مضطر إلى حمل هذا المستند معى فى كل لحظة لأثبت للجميع أننى د. (ياسين العوضى) ؟ يا للمهزلة .. لم أكن أعلم أن هذه البطاقة أهم من الإنسان نفسه لإثبات هويته .. ولم أكن أعلم أنى سأحتاجها اليوم أكثر من أى يوم مضى .

دخلت غرفة المكتب وبحثت فى الأدراج .. لم أجدها .. أنا أعلم أننى لم أجلبها معى إلى العيادة لأنى أتركها دائمًا فى البيت ولكنه الأمل .. الأمل فى أن أوقف هذه المهزلة الآن دون الاستمرار فيها لدقيقة أخرى .. ولكن يبدو أننى مضطر إلى الذهاب إلى البيت .

قال (وائل) مبتسمًا ابتسامة شريرة :

ـ أرأيتم ؟ لن يستطيع أن يثبت ما يقوله أبدًا .

اكتفيت بجملة مقتضبة :

ـ فى البيت .

توجهت مع رجال الشرطة إلى بيتى لإثبات أننى د. (ياسين) .. يا للمهزلة .. لقد أحضرتهم معى ليقبضوا على (وائل) .. الآن هم مستعدون للقبض علىَ إذا لم أثبت صحة حديثى .. يالها من مفارقة !! على أية حال .. فى خلال دقائق سأثبت أننى (أنا) وينتهى الأمر .

وأمام العمارة التى بها شقتى سألت البواب :

ـ من أنا يا عم (مدبولى) ؟

ووقف رجال الشرطة منتظرين الإجابة بلهفة غير طبيعية .. أما أنا فوقفت هادئًا لأننى أعرف الإجابة مسبقًا .

وأجاب البواب على الفور .

وكانت إجابته مفاجئة !

* * *

7 ـ شقتى تعرضت للسرقة ..

نفس اليوم .. الساعة : الثامنة مساءً ..

أجاب البواب على الفور قائلاً :

ـ د. (ياسين) .

هذه هى الإجابة المتوقعة ولكن يبدو أنها جاءت مفاجئة لرجال الشرطة الذين تأثروا بحديث (وائل) .. تغاضيت عن ذلك ، وقلت لهم ببساطة :

ـ أرأيتم ؟

ثم اتجهنا إلى شقتى فأشرت إلى اللافتة التى علقت بجوار الباب وقرأتها :

ـ دكتووور ياسين العوضى .

ثم أخرجت مفتاح الشقة من جيبى وأولجته فى ثقب الباب ، وقلت :

ـ وها هى ذى شقتى .

دخلت شقتى ، وقلت مازحًا :

ـ أرجلكم اليمنى لو سمحتم .

تبعونى إلى داخل الشقة فطلبت منهم الانتظار فى الصالة حتى أحضر لهم البطاقة ، ثم توجهت إلى حجرة المكتب ..

من الوهلة الأولى شعرت أن حجرة المكتب ليست كما تركتها من قبل .. هناك شىء ما تغير .. هناك شىء ما تحرك من مكانه .. أو لم يعد موجودًا .. لكن ما هو ؟ لا أعلم .. عندما يعتاد المرء على رؤية شىء ما بصفة مستمرة حتى لو كان هذا الشىء كثير التفاصيل فإنه سيشعر بأى تغيير يطرأ عليه حتى ولو كان بسيطًا .

ورغم ذلك تغاضيت عن الأمر مؤقتًا .. فلو أن هناك لصًا اقتحم شقتى فإنه بالتأكيد لن يهتم بحجرة المكتب .. لن تثير مكتبتى القيمة اهتمامه أو حتى الصور الزيتية .. لن أبلغ الشرطة ـ بالرغم من كونهم معى فى الشقة ـ قبل أن أتفقد بقية الحجرات أولاً .. وقبل كل ذلك علىَّ أن أبحث عن بطاقتى لأنهى هذه المهزلة .

بحثت عنها فى جميع الأدراج ولكنى لم أجدها .. بحثت فى جميع أنحاء المكتب ولكنى لم أجدها ولما طال الوقت سمعت الضابط يقول :

ـ هل نأتى لنساعدك فى البحث ؟

ـ لا شكرًا .

وبعد شهور من البحث خرجت إليهم خالى اليدين ، وقلت :

ـ لم أجدها .. ولكنى أشعر أن شقتى تعرضت للسرقة .

نهض الضابط ، وقال متعجبًا :

ـ سرقة ؟

ـ نعم .. أشعر أن الأشياء ليست فى أماكنها الطبيعية التى تركتها فيها وأنا أعيش بمفردى .. إذن من الذى نقلها ؟!

ـ هل تريد أن تحرر محضرًا ؟

ـ لا .. يجب علىّ أولاً أن أتفقد الغرف لأعرف ما الذى سُرق ؟

ـ حسنًا ولكن حافظ على البصمات .

ـ لا تقلق .. وبالنسبة للبطاقة أعتقد ...

ـ لا تقل إنهم سرقوها .. بِمَ ستفيدهم البطاقة ؟

ـ ربما كانت داخل أحد الأشياء التى سرقوها .. ولم يعرفوا ذلك .

ـ حسنًا .. وماذا عن جواز السفر أو ...

ـ لم أجده أيضًا .. كل ما وجدته شهادتى الجامعية وشهادة الميلاد وعقد إيجار العيادة .. إن كانوا ذا فائدة سأحضرها لكم .

ـ لا .. لأن ليس بها صورلك .. على أية حال .. اهتم بأمورك وتفقد شقتك جيدًا وإن أردت تحرير محضر بالمسروقات أو احتجت إلى أى مساعدة فإنك تعرف أين تجدنى ، أما بالنسبة لموضوع الممرض فسوف نجد طريقة ـ بإذن الله ـ نثبت بها هويتك لتعود إلى عيادتك لممارسة عملك ونحول حينها الممرض إلى المصحة النفسية .

أعجبنى حديث الضابط .. من الواضح أنه فى صفى .. هذا سيسهل كثيرًا من الأمور .

بعد خروجهم جميعًا تفقدت الشقة كلها .. وبعد نصف ساعة من العمل وصلت إلى النتيجة المذهلة .. لم يُسرق شىء .. ورغم ذلك مازلت أشعر أن هناك من دخلها وعبث فى محتوياتها ، ثم خرج .. أما نتيجة البحث الثانية فهى أننى لم أعثر على بطاقتى أو جواز سفرى أو أى مستند رسمى يحمل صورتى واسمى .. ولا أعتقد أن هذه المستندات تمثل هدفًا مغريًا للصوص .. ولهذا أرجح أننى تركتها فى مكان ما أو فقدتها .. ولكن أين ؟! هذا هو السؤال الذى لابد أن أجد إجابته سريعًا .

أين بطاقتى وأين أوراقى ؟؟

أنا الآن رجل بلا هوية !

* * *

قدت سيارتى متجهًا إلى بيت خطيبتى ..

أتأمل بقلبى صورتها التى لا تغيب عن عقلى ..

إنها الملاك الذى يعيش على الأرض والذى وهبته قلبى فمنّ علىّ ووهبنى قلبه إنها النسمة التى تسمعها طيور الحب فتشدو بموسيقا تراها الآذان ..

إنها ريشة تعزف صورًا رومانسية على قيثارة الرقة والحنان ..

إن عينيها نافذة تطل على حديقة غنَّاء تلهو فيها كلمات العشق مع الألحان ..

إن شفتيها قصيدة يُغشِي رحيقها العيون ..

شعرها هو التمرد والسكون ..

أراه فأصير كالمجنون ..

أنسى من حولى الكون ..

حتى نفسى أسألها ..

من أكون ؟

حقًا من أكون ؟

لقد ذهبت إلى خطيبتى فى هذه الساعة من أجل ذلك .. ذهبت إليها لأستعيد معها د. (ياسين) الذى شعرت أنه يغيب عنى .. ذهبت إليها لأسمع اسمى من شفتيها الرقيقتين لأثبت لنفسى وللعالم أجمع أننى مازلت د. (ياسين) وأننى مازلت أحبها .

ذهبت إليها لعلى أجد عندها بطاقتى أو جواز سفرى .. ربما أحضرتها معى فى إحدى زياراتى ونسيتها عندها ولو أن هذا حدث فيا لحظهم السعيد .. سأحسد هذه المستندات بالتأكيد !

نظرت فى ساعتى وأنا أقف أمام الباب .. كانت التاسعة إلا الربع .. هل كان موعدًا مناسبًا للزيارة ؟ لماذا لم أتصل بها قبل المجىء إلى هنا ؟ لماذا لم أتصل بها وأسألها هاتفيًا بدلاً من الزيارة ؟ الإجابة ببساطة : قلب المحب لا يفكر .

طرقت الباب بهدوء .. لماذا أشعر الآن إن الساعة متأخرة ؟ يجب أن أرحل !

شعرت أن هناك من يتجه نحو الباب .. فانتظرت ..

ـ من ؟

بالتأكيد أمها هى التى تسأل .. إن صوت حبيبتى أرق من هذا بسنوات وأميال .

ـ أنا .

ـ من أنت ؟

هناك المزحة الشهيرة بهذا الشأن .. تذكرتها فى هذه اللحظة .. معها حق إنَّ (أنا) لا تدل على شخص .. ولكنى اعتقدت أنها ستتعرف صوتى خلال قولى لـ (أنا) .

ـ أنا د. (ياسين) .

ـ افتحى يا بنيتى .. إنه خطيبك .

خفق قلبى بشدة عندما سمعت صوت الملاك يقول من خلف الباب :

ـ لماذا أتيت فى هذه الساعة المتأخرة ؟

ـ إنها التاسعة .

ـ تقصد العاشرة .

هل تمزح أم أنها العاشرة حقًا ؟

أسمع صوت خطواتها يقترب من الباب .. لابد أنها الآن خلفه .. أتأمل العين السحرية المثبتة على الباب .. لابد أنها تراني الآن من الجانب الآخر .. لو أن هذه العين تعمل للطرفين لأمكننى الآن أن أرى عينى الملاك من خلالها .. ولكن ما هى إلا لحظات وتفتح الباب فأرى العينين الساحرتين والملاك نفسه الذى يحملهما ..

مرت لحظات صامتة .. لم يحدث شيء خلالها .. لماذا لم تفتح حتى الآن ؟

ـ (نادين) .. افتحى .

ـ لا .. لن أفتح .

ـ أنا آسف على المجيء فى هذه الساعة المتأخرة ولكن هناك سببًا قويًا .. افتحى لى وسأخبرك به .

ـ لا لن أفتح وعُد من حيث أتيت .

ـ حسنًا .. طالما أنك لا تريدين ذلك فلن ألح فى طلبه ، ولكن لى سؤال .

ـ تفضل .

ـ هل رأيت بطاقتى أو جواز سفرى ؟ لقد بحثت عنها فى شقتى والعيادة ولم أجدها .. لذا فكرت فى أننى قد أكون نسيتها عندك .

ـ لا .. لايوجد شيء يخصك هنا .. وارحل الآن قبل أن أبلغ البوليس .

بوليس ؟ مزاحها ثقيل نوعًا ما .. يبدو أن مزاجها متعكر بسبب زيارتى لهما فى هذه الساعة المتأخرة .. لو أستطيع أن أراها الآن فى هذه الحالة المزاجية .. لابد أنها فاتنة .. إنها جميلة فى جميع الحالات وهذا ما جذبنى إليها .. إن جمالها لايتأثر بمثل هذه الأشياء .. فى النهاية .. قلت لها قبل رحيلى :

ـ أعلم أن هذا قد يكون مرهقًا ولكن .. ابحثى من فضلك عنهما .. وإن وجدت أيًا منهما اتصلى بى .

لم ترد .. يبدو أنها غاضبة جدًا .. معها حق .. فليس من اللائق أن أزورهم فى مثل هذه الساعة المتأخرة .. قلت لها وأنا أهبط درجات السلم :

ـ سأنتظر اتصالك .

قدت سيارتى حزينًا .. إن اليوم كان غريبًا حقًا .. لم يكن

عاديًا على الإطلاق .. لم أكن أتوقع أن يمضى بهذه الطريقة .. ما الذى يمكن أن يحدث لى أكثر مما حدث ؟

كنت جالسًا أمام عجلة القيادة أسترجع أحداث اليوم حين أوقفنى ضابط على الطريق .. نظرت حولى فعرفت أنها لجنة .. عدد كبير من رجال الشرطة وبعض سياراتهم .

يا للروعة !! كانت أول جملة قالها لى الضابط ، هى :

ـ « رخصة قيادتك لو سمحت » .

طبعًا لم يكن معى رخصة قيادة .. إنها من الأشياء التى لم أجدها .. والتى توقعت أن تكون عند خطيبتى .. والتى قد تكون هناك بالفعل .

لكم أن تتخيلوا التعبير الذى رأيته على وجه الضابط وهو يسألنى عن الرخصة فأجبته بهدوء إنها ليست معى .. بل ويكتشف بعد قليل أننى لا أحمل بطاقة ولا أحمل أى شىء يدل على هويتى .

لم يقتنع الضابط أننى طبيب فضلاً عن أننى طبيب نفسى .. طبعًا لم أجد أمامى سببًا مقنعًا أقوله سوى أننى كنت متعجلاً فى الذهاب لإنقاذ مريض ولهذا لم أنتبه لأخذ هذه الأشياء معى .

ولأنه لم يقتنع بما قلته فقد تصرف الضابط التصرف الطبيعى فى هذا الشأن .

وهكذا وجدت نفسى محتجزًا فى قسم البوليس كأى مجرم عتيد الإجرام .

* * *

8 ـ ليلة فى السجن ..

نفس اليوم .. الساعة : العاشرة مساءً والتى لم تكن القاسية ..

كان من حقى أن أجرى مكالمة هاتفية .. يجب أن أتصل بأحد فيأتى ليضمننى .

ولكن بمن أتصل ؟

رأيت وجه د. (مجدى) يطل أمام عينى وتحت وجهه أرى رقم هاتفه جليًا وكأنه داخل صورة يحمل فيها هذا الرقم .. كالسجناء عندما يحملون أرقامهم .. تشبيه سيئ !

جلست على مقعد أحضروه لى .. متأملاً جدران القسم ، ناظرًا بين لحظة وأخرى إلى عينى الضابط الذى يرمقنى فى ترقب ، اتصلت بصديقى د. (مجدى) :

ـ آلو .

ـ آلو .

ـ د. (مجدى) .. أعلم جيدًا أننى أقلقتك من نومك لأنك بالتأكيد نمت مبكرًا كعادتك ولكن الأمر يستحق .. لا يمكن تأجيله إلى الغد .

ـ من المتحدث ؟

ـ أنا د. (ياسين) .. انتبه لما سأقوله جيدًا .. أنا أحدثك الآن

من قسم الشرطة .. سأفسر لك ذلك فيما بعد .. المهم الآن أن تأتى على الفور إلى هنا ومعك بطاقتك لكى تضمننى وإلا سيحتجزوننى للـ .. د. (مجدى) .. هل مازلت معى ؟ هل تسمعنى أم ...؟

ـ لا .. لا .. أسمعك .. جيدًا .. انتظرنى سأحضر على .. الفور .

تأكد أننى لن أتحرك من هنا قبل أن تأتى .

صوت وضع السماعة .. لقد أنهى الاتصال فجأة .. هل هو متعجلّ لهذه الدرجة لإنقاذى ، أم إنه عاد إلى نومه وسقطت منه السماعة ؟

لم يسمح لى الضابط بإعادة الاتصال أو إجراء مكالمة أخرى لذا جلست منتظرًا .. وطال الانتظار .. وطال .. وطال ..

لو أن د. (مجدى) كان يرتدى ما فى دولاب ملابسه كله فاستغرق وقتًا فى خلعها وقرر ارتداء حلة رسمية فاستغرق وقتًا فى انتقائها ، ثم قرر الاستحمام وحلاقة ذقنه قبل ذلك وعندما انتهى من كل ماسبق قرر ألا يذهب إلى القسم بالسيارة ورأى أن السير على الأقدام رياضة وعند وصوله إلى القسم تذكر أنه لا يحمل بطاقته معه فعاد إلى بيته سيرًا وبحث فى أنحاء شقته كلها عن البطاقة حتى وجدها بعد بحث طويل ، ثم عاد مرة أخرى إلى القسم سيرًا فشعر بالجوع والعطش فى الطريق فدخل إلى أحد المطاعم ليتناول وجبة دسمة مع بعض العصائر لتعينه على إكمال المهمة وبعد فراغه من كل ذلك أكمل طريقه إلى القسم لكان وصل منذ ساعة مضت .

* * *

قضيت ليلتى فى حجرة كئيبة مظلمة نوعًا .. لايوجد بها سوى خرقة بالية أعتقد أنهم وضعوها للنوم عليها .. ولكنى أرى أن الأرض أفضل بكثير منها .. تأملت وجوه الجالسين وبعد حديث قصير عرفت أنهم مجموعة من النشالين وسارقى المنازل ..

طبعًا لو أن لدى بالاً رائقًا لقضيت الوقت فى إجراء بحث نفسى عليهم ومعرفة دوافعهم وراء هذه الجرائم .. وهل تربيتهم هى السبب وراء ذلك أم إنه المجتمع نفسه .. وعشرات الأسئلة الأخرى ولكن .. للأسف لم يكن مزاجى يسمح بذلك .. وطالما أننى لاأرغب فى إجراء بحوث عليهم قررت تحاشيهم .. أما هم فقد شعروا أننى أختلف عنهم وتأكدوا من شعورهم عندما أخبرتهم أننى طبيب .. وهكذا .. لم يحاول أحدهم مضايقتى .. بل وتبرع أحدهم بملابسه لأنام عليها .. مازالت الدنيا بخير .

بالرغم من حقيقة أن الغرفة كئيبة وأن النوم على الأرض غير مريح على الإطلاق إلا أننى استغرقت فى نوم عميق .. يبدو أننى كنت منهكًا جدًا .

فجأة .. رأيت ضوء الشمس يطل من النافذة فعرفت أننا أصبحنا فى يوم آخر .. أتمنى أن يكون عاديًا جدًا .. تأملت الوجوه المشرقة التى شاركتنى هذه الحجرة طيلة الليلة .. فشعرت أن الليل أفضل لمن يراهم بالتأكيد .

- « د. (ياسين العوضى) » .

سمعت اسمى يخرج من حنجرة قوية ورأيت الباب يُفتح ويدخل إلى الحجرة عسكرى سمين هزنى بعنف وكأنه لا يدرك أننى مستيقظ أصلاً .. سمعته يصيح باسمى من جديد وكأنه ينادى على رجل مفقود فى صحراء .. أدركت أننى سأفقد السمع إذا كررها بجوار أذنى مرة أخرى .

نهضت حتى أثبت له أننى مستيقظ منذ قرون .. فقال بصوته الغليظ :

- إفراج .

قالها فشعرت كأننى كنت أؤدى عقوبة لسنوات منتظرًا هذا الإفراج .. نظرت إلى الحجرة الكئيبة وألقيت عليها نظرة الوداع ..

ليلة فى السجن .. وكأن هذه الخبرة كانت تنقصنى لأكمل بها سجل خبراتى .. لن أقول يا (للمهزلة) .. لقد سئمت هذه الكلمة .

عرفت فى حجرة الضابط أن د. (مجدى) جاء قبل ذلك بدقائق وضمننى وخرج على الفور .. يبدو أنه خشى رؤيتى غاضبًا حين أراه وقد أتى يضمننى صباحًا .

فضل النوم فى سريره ليلاً على الذهاب لإنقاذ صديقه .

يا للصداقة !

كم الساعة الآن ؟ لن أذهب إلى المستشفى .. أريد أن أكمل نومى .. أود أن أنام فى مكان آدمى .. وجالت بخاطرى صورة شقتى وكأنها الجنة .

* * *

يوم جديد .. الأحد السادس من مارس الساعة : الواحدة والربع ظهرًا ..

لم أذهب إلى المستشفى .. كنت أحتاج إلى أطنان من النوم ..

وهناك سبب آخر .. د. (مجدى) .. لا أطيق أن أراه .. ربما لو رأيته أمامى فى المستشفى لقتلته على سبيل التعويض .. لذا رأيت أنه من الأصلح للجميع أن أعود إلى منزلى وأرتاح قليلاً .

استيقظت فى الثانية عشرة والنصف .. قمت بإعداد وجبة سريعة وتناولتها على عجل وارتديت أفضل ما لدى وذهبت للقاء أميرتى .. (نادين) .

وفى ذلك الكازينو المطل على النيل بحثت بعينى عنها .. نظرت إلى ساعتى التى قمت بضبطها بعد ما حدث بالأمس .. بالنظر إلى الساعة علمت أننى متأخر ربع ساعة كاملة .. لابد أنها وصلت .. إنها دقيقة دائمًا .. وهذا يعنى أننى تركتها تنتظرنى كل هذه المدة .. يا لى من وحش عديم القلب .. ولكنى لم أكن أقصد .. أهون علىّ ألا أفطر على أن أتركها تنتظر .. لابد أن أجدها بسرعة حتى لا أطيل انتظارها .

ها هى .. واحة وسط صحراء قاحلة .. شمس تضىء حياتى .. بسمة تزيل كل أحزانى .. إنها ليست بشرًا .. إنها ملاك قرر أن يسعد قلب أحد سكان الأرض وكان سعيد الحظ هذا .. (أنا) ..

كانت جالسة تنظر بشرود إلى كوب العصير الذى لم ينقص منه شىء .. فيم تفكر ؟ سأكون أسعد رجل فى العالم لو كانت الإجابة : أنا .

اتجهت إليها ولم تشعر بى ، وقفت خلفها مباشرة وقررت أن أضع يدىّ على عينيها لتخمن شخصيتى .. ولكن ..

لقد التفتت .. فشلت المفاجأة .. نظرت إلىّ نظرة غامضة .. لم أفهم ماذا تعنى هذه النظرة .. ولن أسألها عنها .. اتجهت إلى المقعد الذى يواجهها ، وقلت بهدوء حتى لا يجرح صوتى أذنيها الرقيقتين :

ـ آسف على التأخير .

لم ترد فضلاً عن أنها لم تنظر إلىّ .. يبدو أنها غاضبة منى .. جميلة أيضًا وهى غاضبة .. بل أجمل ..

كررت أسفى ولكن بلا فائدة .. لم أسمع لحنًا من حديثها ولم تمنحنى بريقًا من عينيها .. لن أتحمل هذه القسوة خاصة من ملاك مثلها .. لذا اعتذرت لها من جديد :

ـ آسف للمرة المائة .. ولكنى لم أقصد التأخير .. وأنت

تعلمين ذلك .. لو أن الأمر بيدى لبتُّ هنا ليلاً ومكثت حتى موعد لقائنا .

لم تعرنى أدنى اهتمام .. لا أعتقد أن سبب غضبها هو التأخير .. لابد أن هناك سببًا آخر .. سبب أقوى .. واعتقد أننى توصلت له ..

ـ ربما أنت غاضبة من موقف البارحة .. أعلم أننى كنت سخيفًا ولكن .. لو تعلمين ما حدث لى بالأمس لأدركت أننى ...

لم أكمل جملتى لأنها نهضت فجأة من مكانها وحملت حقيبتها ، قائلة بغضب :

ـ إن ما فعلته بالأمس وما تفعله الآن هو الوقاحة بعينها .

* * *

9ـ خطيبتـى ..

نفس اليوم .. الساعة : الواحدة والثلث ظهرًا ..

خطيبتى (نادين) ..

نعم .. إنها ملاك .. يمكننى أن أغفر لها أى شىء .. وطبعًا لا أغفر لها شيئًا لأنها لاتفعل أى شىء يستحق أن أغفره لها .. إنها ملاك .

ولكن ..

ما قالته كان خارجًا عن المألوف .. بقعة حبر أسود على قميص ناصع البياض .. تمالكت نفسى ، وسألتها بهدوء عن السبب :

ـ لماذا قلت هذا ؟

ـ ألا تخجل مما فعلته وتفعله ؟

ـ (نادين) .. ما الذى فعلته بالضبط ويستحق كل هذا ؟

ـ ما هذا ؟ (نادين) .. تنطق اسمى هكذا بسهولة وأنا لا أعرفك أصلاً .

ما الذى تقوله أميرتى ؟ هل هذا مزاح ؟ ولكنى لن أقبل هذا النوع من المزاح وبخاصة هذه الأيام .. فلتجد طريقة أخرى .. أما هذه فلا .. ابتسمت قائلاً :

ـ أرجوك يا أميرتى .. توقفى عن هذا المزاح .

ـ تقول أميرتى !! لا .. أنت تجاوزت حدودك .. لولا أننى متماسكة لتصرفت معك تصرفًا آخر .

واتجهت إلى منضدة أخرى وجلست عليها .

كان موقفًا غريبًا .. يبدو أننى موعود هذه الأيام بالمواقف الغريبة .. ولكن ما العمل ؟ حسنًا سأستخدم علم النفس .. إنها الآن تمزح مزاحًا ثقيلاً .. وتضحك فى سرها الآن لأنها استطاعت إرباكى .. وسوف تستمتع أكثر كلما أثارت غضبى وانفعلت .. لذا سأفسد عليها متعتها بألا أعطى أى رد فعل .. لن أذهب خلفها .. لن أستفسر عن السبب .. لن أبدى دهشتى .. سأظل ساكنًا .. سيثير هدوئى غضبها وستشعر أنه لافائدة من الانتظار فتأتى بعدها لتنهى المزحة الثقيلة .. وتقول لى بصوتها الحنون (أنت ربحت) .

دعوت الله أن تنجح خطتى ، وانتظرت فى مكانى متأملاً تصرفاتها .. منتبها لكل عضلة تحركها ، وحافظت على ألا تشعر بذلك .. حاولت جاهدًا أن تعتقد أننى غير مهتم بها .. سيثير هذا تحفظها وهى التى اعتادت أن أتأملها فى كل لحظة .

مر الوقت .. أعتقد أنها ستصل إلى مرحلة الانفجار قريبًا .. كان يجب أن تختار أى شخص آخر غير الطبيب النفسى لتمزح معه .. ولكن لها الحق فى اختيارى فأنا خطيبها .. ولم تكن لتسمح لنفسها بالمزاح مع آخر .. ولكن ربما ليس مزاحًا ..

ربما كان عقابًا على فعلة البارحة .. ربما تعاقبنى على زيارتى لها متأخرًا .. وبدون اتصال مسبق .. تريد أن تحرمنى من التحدث معها

ولعمرى سيكون عقابًا قاسيًا .. أنا لا أستطيع تحمل هذه العقوبة .. ولكن تماسكى الآن سيظهر لها أن العقاب ليس مجديًا وهكذا لن تكرره معى وسيكون هذا من حسن حظى .

ها قد وصلنا .. فليحيا علم النفس وليحيا علماؤه .. لقد نهضت من مكانها وسارت نحوى .. لا أعتقد أنها سارت لأنى لا أشعر بقدميها تلمسان الأرض .

كل هذه الرقة ستصبح ملكى يومًا ما وتصير رفيقة عمرى .. كم أحسد نفسى !

وقفت أمامى مباشرة ووضعت حقيبتها على المنضدة وعقدت ذراعيها الجميلتين أمام صدرها ، ثم سمعت صوتها الذى يفوق صوت البلابل فى عذوبته :

ـ لماذا تنظر إلىّ كل هذا الوقت .

توقعت أن تعترف بانتصارى عليها .. توقعت أن تعلن انتهاء المزحة أو انقضاء العقوبة ولكن .. يبدو أن اللعبة قد راقت لها ففضلت الاستمرار .. حسنًا .. سأستمر أنا أيضًا .. وأنا الذى سيربح فى النهاية ، قلت :

ـ لم أكن أنظر إليك .

حدقت فى عينى بعينيها الجميلتين وابتسمت ابتسامة جانبية ساحرة أعتبرها مكافأة بعد تحملى العقوبة ، ثم قالت :

ـ حسنًا .. ولماذا أتيت إلى منزلى ليلاً؟ هل أنا أعرفك؟ ما الذى تريده ؟

ـ أنا لم آتى إلى منزلك ليلاً .

كذبت عليها مستمرًا فى سياسة التجاهل .. أعتقد أنها ستستسلم الآن .. إنها تدير الأمور فى رأسها ، ثم سترفع بعدها الراية البيضاء .. ولكنى فوجئت بها تقول :

ـ حسنًا .. لا أريد أن أرى وجهك أمامى مرة أخرى .. أنا مخطوبة ولو أن خطيبى علم بما تفعله سيقطعك إربا .

عند هذا الحد لن أوافق على مسألة المزاح .. لذا صحت معترضًا :

ـ كفى مزاحًا .. من خطيبك هذا الذى سيقطعنى إربًا ؟

ـ خطيبى د. (ياسين) .. لو أنك محظوظ لن تراه ، إنه أقوى رجل على وجه الأرض .

إنها تبالغ بشدة .. ولكن طالما أنها ترانى كذلك فلا بأس .. قلت لها مازحًا :

ـ حسنًا .. أين خطيبك هذا وسأمضغه أنا بأسنانى ؟

ـ كان المفترض أن يأتى اليوم ولكنه لم يأت بعد .. وهذا من حسن حظك حتى تعود إلى والدتك سليمًا .

إن مزاحها لذيذ .. لقد بدأت أستمتع بهذا المزاح .. أعتقد أننا سنجربه كثيرًا فى المرات القادمة .. قلت لها :

ـ لقد أتى وهو يقف أمامك الآن ويطلب منك الصفح عما بدر منه بالأمس .

قالت مستنكرة وهى تقطب حاجبيها الجميلين :

ـ أنت !!

ـ بالتأكيد .. أنا خطيبك .. هل لديك آراء أخرى ؟

ـ أنت (ياسين) خطيبى !! أضحكتنى .. لقد ادعيت ذلك بالأمس معتقدًا أننى لن أستطيع تمييزك من العين السحرية .. أما الآن فأنا أراك جيدًا .. إنك لاتشبه على الإطلاق .. إنه الرجولة .. إنه الشهامة .. إنه الرجل الذى يحمل أى صفة تتمناها الفتاة فى خطيبها .

سعدت جدًا لسماعى رأيها فى شخصى .. أكاد أطير من الفرحة .. ولكن .. تكسرت أجنحتى عندما تابعت قائلة :

ـ أما أنت فعلى النقيض تمامًا .

لا أعرف ما الذى تقوله أو ما الذى تريد قوله .. ولكنها فى النهاية ملاك .

ـ أنا (ياسين) .. حبيبك وخطيبك .. والرجل الذى يحمل أى صفة تتمناها الفتاة فى خطيبها .

ـ من قال هذا ؟

ـ أنت .. لقد قلت ذلك الآن .. قلت إننى الرجولة والشهامة والرجـ...

قاطعتنى بحدة :

ـ لقد كنت أتحدث عن خطيبى د. (ياسين العوضى) .. لم أقل هذا عنك .

حاولت إمساك يديها ، وأنا أقول :

ـ يا حياتى .. أنا د. (ياسين العوضى) .. خطيبك .

ضربت يدىَّ بيديها قبل أن تمسك بهما .. كانت ضربة خفيفة جدًا لأن يديها أرق من أن تستخدمها للضرب ، وقالت :

ـ إياك أن تفعلها مرة أخرى ، ولاتقل لى (ياحياتى) أو (ياأميرتى) .

ـ بِمَ أناديك إذن ؟

ـ ولِمَ تنادينى أصلاً ؟ لن يدور بيننا حوار آخر .. لا أريد رؤيتك أمامى مرة أخرى .

إن حديثها لايحمل إيقاع المزاح أبدًا .. هذا رأيى كطبيب نفسى يميز تعبيرات الوجه ونبرات الصوت بدقة .. وهذا يعنى أنها تريد ...!

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟ هل تريدين فسخ خطوبتنا ؟

ـ بالطبع لا .

استراح قلبى واطمأن .. ولكنى فوجئت بها تكمل قائلة :

ـ لأننا لسنا مخطوبين أصلاً .

ثم حملت حقيبتها وانصرفت ، بعد أن أردفت قائلة :

ـ أنا لا أعرف حتى الآن من تكون أنت ! ولا أريد أن أعرف .

اندفعت وراءها ، وصحت بغضب :

ـ أنا د. (ياسين العوضى) .

استدارت إلىّ ، ووقفت تقول :

ـ أنت لست د. (ياسين العوضى) .

ـ حسنًا .. وأنت لست (نادين) .

* * *

10 ـ صديقى ...!

نفس اليوم .. الساعة : الثانية إلا الربع ..

أجلس فى شقتى .. أحدق فى شاشة التلفاز شاردًا .. أفكر فى كل ما يحدث .

إن خطيبتى تستنكرنى .. تقول إننى لست د. (ياسين) .. لم أجد أمامى سوى القول بأنها ليست (نادين) وكان رد فعلها هادئًا .. لم تنبس ببنت شفة وانصرفت على الفور .

لا أفهم شيئًا .. هل هى دعابة اشتركت فيها خطيبتى مع الممرض ؟ ولو فرضنا أن (وائل) مريض .. ماذا عن خطيبتى ؟ أولاً : هى ليست دعابة لأن الصدق يبدو على وجوههم .. إنهم يعتقدون ذلك بالفعل .. وهذا يقودنا إلى الاحتمال الآخر .. وهو المرض النفسى .. هنا نأتى إلى ثانيًا : كيف يمرضان الاثنان معًا ؟ فلو فرضنا أن أحدهما أصيب بفقدان ذاكرة هستيرى أو يعانى من انفصام الشخصية أو الهلاوس أو ... أو ... إلخ فكيف يصاب به الآخر أيضًا ؟ وهنا نأتى إلى ثالثًا : هل هناك احتمالات أخرى لتفسير مايحدث ؟ وحتى أعثر على تفسيرات أخرى سأقنع نفسى بمرض (وائل) ودعابة (نادين) .. هذا وذاك .. ربما تأثر (وائل) كثيرًا بالمرضى .. وربما تجيد (نادين) التمثيل وعلمت بما حدث لـ (وائل) فقررت تقليده .. احتمال !

نفس اليوم .. الساعة : الثالثة والنصف عصرًا ..

نمت بعض الوقت ثم قررت الخروج إلى العيادة .. ربما قرر (وائل) الشفاء من مرضه .. تمنيت أن أصل إلى العيادة فيرانى فينهض من مكانه ويهرع إلىّ ويحتضننى بقوة قائلاً :

حمد الله على السلامة يا دكتور .

وهناك .. وأمام باب العيادة .. وقفت متوجسًا .. نظرت إلى الداخل .. (وائل) منهمكٌ في قراءة جريدة .. عدد لابأس به من المرضى .. أخذت نفسًا عميقًا وطرقت الباب ودخلت .. وليكن ما يكون ..

ـ « أنت مرة أخرى » .

قالها (وائل) كما فعل فى المرات السابقة .. هذه الجملة أسمعها منه كثيرًا هذه الأيام .. يبدو أنها أصبحت التحية الرسمية لى .

ـ يا (وائل) .. أريدك أن تسمعنى .

ـ تفضل أطربنى .

ـ أنا لا أعلم ما الذى حدث لك وغيّرك من ناحيتى ولكنى د. (ياسين) .. تأمل وجهى جيدًا .. وسوف تتذكـ ...

ـ « د. (ياسين) » .

هنا سمعت اسمى .. ينطلق من حنجرة قوية فطار قلبى فرحًا .. نظرت إلى الخلف فوجدت د. (مجدى) صديقى، كان واقفًا على باب

العيادة يطرق بابها بهدوء وينادينى .. سأتغاضى عما فعله لى طالما أنه جاء إلى عيادتى .. وبالتأكيد جاء ليعتذر .

إن مجيئه الآن من حسن حظى .. سأستخدمه شاهدًا يؤيدنى أمام (وائل) طالما أن مرضاى لايصلحون شهودًا .. اتجهت إليه و ...

ـ د. (مجدى) .. كيف حالك ؟

ـ بخير .

قالها بهدوء دون أن ينظر لى ، ثم اتجه إلى (وائل) .. تجاهلت هذا التجاهل ، وقلت :

ـ أخبر (وائل) من أكون .

لم يهتم د. (مجدى) بما قلتـه .. وفوجئت بـه يسأل (وائل) آخر سؤال يمكن تخيله :

ـ أين د. (ياسين) ؟

ما الذى يحدث ؟ هل من الممكن أنه لم ينتبه إلى وجودى حتى الآن ؟ ربما ، والدليل على ذلك أنه تابع قائلاً :

ـ لم يحضر إلى المستشفى اليوم واتصلت به فى بيتـه مرات عديدة ولم يرد أحد .. هل هو هنا ؟

صحت ملوحًا بذراعى ، قائلاً :

ـ بالتأكيد هنا .. أنا هنا .

تجاهلنى د. (مجدى) مرة أخرى وكأننى لست موجودًا واستمع إلى (وائل) الذى قال :

ـ لا .. لم يأت بعد .

هل هم يتحدثون عن شخص آخر ؟ هل أصبحت رجلاً خفيًا ؟ ثم سمعت د. (مجدى) يقول هامسًا :

ـ أريد الاطمئنان عليه لأنه بات ليلته بالأمس فى قسم الشرطة .. وضمنته فى الصباح ولم أره حينها فقد كنت متعجلاً .

كيف يخبر د. (مجدى) (وائل) بمثل هذه الأسرار ؟! هناك أسرار بين الأطباء لا يجب البوح بها للممرضين .. خاصة الذين يعملون عندهم .. فى النهاية قلت لهم مبررًا ما حدث ليلة أمس :

ـ لقد بت ليلتى فعلاً فى قسم البوليس لأنى قررت أن أجرى بحثًا عن المجرمين ولم أجد مكانًا أنسب من قسم البوليس لأجدهم فيه .

هذه المرة لم يتجاهلنى د. (مجدى) .. بل نظر إلىَّ باحتقار ، ثم سأل (وائل) :

ـ من هذا ؟

اعتقدت فى البداية أنه لم ينتبه إلى وجودى أو أصيب بقصر النظر فجأة وضعف السمع أيضًا .. لكن الآن .. ما الذى يمكن أن

أعتقده ؟ ما السبب فى نظرته المتشككة نحوى ؟ ما الذى أصابه هو الآخر ؟ (وائل) ثم (نادين) ثم د. (مجدى) .. لا .. إن هذا كثير .. يفوق الاحتمال .. وبخاصة عندما سمعت (وائل) يرد قائلاً :

ـ دعك منه .. إنه مختل عقليًا .

ضايقنى جدًا أن يصفنى ممرض يعمل عندى بالاختلال العقلى .. حسنًا .. لن أحاسبه لأنه لم يعد ممرضًا أكثر من كونه مريضًا .. قلت لصديقى :

ـ د. (مجدى) .. أنا د. (ياسين) .. كيف لا تعرفنى ؟

عدل من نظارته وحملق فى وجهى ، ثم هز رأسه قائلاً :

ـ أنا آسف .. ولكنى لا أعرفك حقًا .. هل تقابلنا من قبل ؟

أكاد أنفجر من الغيظ ، وأنا أقول :

ـ حسنًا .. لو أنك لا تعرفنى كيف جئت إلى القسم هذا الصباح لتخرجنى ؟

صاح محتجًا :

ـ لقد ذهبت إلى هناك من أجل د. (ياسين العوضى) .

أشرت إلى نفسى صائحًا :

ـ أنا د. (ياسين) .. د. (ياسين العوضى) .. وأقسم على ذلك .

ظهر تعبير الدهشة على وجه د. (مجدى) جليًا ثم ضحك فجأة قائلاً :

ـ د. (ياسين) .. أنت د. (ياسين) .. ربما .. كيف لم أنتبه إلى ذلك ؟

ثم صافحنى بحرارة واحتضننى ، ثم قال :

ـ د. (ياسين) .. أنت صديق العمر .. كيف لا أعرفك ؟!

أشعر أنه يكذب رغم أن ما يقوله صدق .. ولكنه لا يرى ذلك .. والدليل على صدق استنتاجى أنه مال نحو الممرض وهمس فى أذنه :

ـ هل اتصلت بالمستشفى ؟

حتى أصدقائى الأطباء لا يمكننى الاعتماد على شهادتهم .. ما الذى يحدث بالضبط ؟

ـ « لا .. ولكنى فكرت فى ذلك » .

قالها الممرض بهمس .. فسأله د. (مجدى) بهمس أيضًا وكان حديثهم الهامس مسموعًا لكل من بالعيادة :

ـ ولماذا لم تفعل حتى الآن ؟

ـ مازلت أراه شخصًا محترمًا .

عدّل د. (مجدى) من وضع نظارته ليبدو حكيمًا وهو يقول له :

ـ لا تعتمد كثيرًا على المظاهر يا ولدى .. وسترى من هذه النوعية الكثير .

لا أصدق أنهم يتحدثون عنى .. لابد من تفسير لما يحدث .. ولابد من شاهد يثبت هويتى .. تأملت وجوه المرضى لعلى أجد واحدًا يصلح بينما يتجه (وائل) نحوى ويدفعنى إلى الخارج ، قائلاً :

ـ اخرج الآن قبل أن أتصل بالمستشفى .. مازلت أراك شخصًا محترمًا فلا تجعلنى أغير هذه النظرة .

لم أهتم بما قاله وقاومته فرأى د. (مجدى) المشهد ، فتدخل قائلاً :

ـ اتركه يا (وائل) .. أما أنت .. مم تعانى بالضبط ؟

ـ مم تعانون أنتم ؟ ما الذى حدث لكم ؟ لماذا تنكروننى وكأنكم ترونننى لأول مرة ؟

أجاب د. (مجدى) قائلاً :

ـ لأننا كذلك بالفعل .

صاح (وائل) قائلاً :

ـ بالنسبة لى ليست هذه هى المرة الأولى التى أراه فيها .. لقد كانت المرة الأولى عندما أتى إلى العيادة بالأمس وقال إنه د. (أحمد سعيد) وإنه صديق د. (ياسين) .

ـ حسنًا .. هناك سؤال يطرح نفسه .. كيف أدخلت السيدة (منيرة الكومى) طالما أنك لاترانى د. (ياسين) ؟

قطب حاجبيه ولوى شفته السفلى ، وقال متعجبًا :

ـ أنا لا أعرف سيدة بهذا الاسم .

إنه ينفى معرفته بالسيدة (منيرة الكومى) فما بالك بإدخالها لى بالأمس ؟ وفجأة تذكرت أننى لم أجدها مسجلة فى دفتره .. لاأعرف تفسير ذلك ولكن .. شعرت أننى بهذا أزيد الأدلة ضدى .. ربما يتهموننى بالهلوسة الآن لذا حاولت إدارة الدفة ، وقلت :

ـ حسنًا .. لو أننى لست د. (ياسين) كما تقولون .. فأين هو ؟

ردد د. (مجدى) السؤال ورائى ..

ـ حقًا .. أين د.(ياسين) ؟ أريد الاطمئنان عليه بعد ليلة البارحة .

صحت بكل الغضب الذى أمتلكه :

ـ أنا د. (ياسين) .. صديقك .. وأنا الذى قضيت ليلة فى السجن بالأمس .. أنا الذى اتصلت بك فأتيت لى فى الصباح .

سألنى د. (مجدى) بدهشة :

ـ هل أنت متأكد أنك الذى اتصلت بى بالأمس وذهبت اليوم إلى القسم لأخرجه ؟

ـ نعم .

ـ أتعلم ما الذى يعنيه هذا ؟

شعرت ببوادر أمل .. يبدو أنه سيعترف أخيرًا بالحقيقة ، ولكنى فوجئت به يقول :

ـ يعنى أن د. (ياسين) لم يقضِ ليلة أمس فى السجن .

الرحمـــة !

* * *

لا أعرف ما الذى أصاب د. (مجدى) ولكن ما أصابه هو تقريبًا نفس ما أصاب (وائل) .. وربما ما أصاب (نادين) أيضًا .. وحتى أكتشف ما حدث لهم يجب أولاً أن أثبت لهم صدق حديثى .. ولكن كيف ؟

المرضى .. ليس أمامى غيرهم .. بحثت بين وجوههم على أى شخص أعرفه .

وأخيرًا .. وجدته .. ذلك الشاب الأشقر النحيف الذى يعانى من الـ ... إحم .

ـ هل تعرفنى ؟

سألته ، فأجاب ببرود :

ـ لا .. لا أعرفك على الإطلاق ؟

ـ كيف لا تتذكرنى ؟ كيف ؟ وهذه ليست المرة الأولى التى تحضر فيها إلى هنا ؟

ـ أنا آسف جدًا .. ولكن وجهك ليس مألوفًا لى على الإطلاق .

ـ انظر إلىّ جيدًا .. أنا د. (ياسين) .. الذى يعالجك .. كيف لاتتذكرنى ؟ أنا أتذكرك جيدًا فكيف لاتتذكرنى أنت ؟ المفترض أن يتذكر المريض الطبيب الذى يعالجه أكثر مما يتذكر الطبيب مرضاه .. كم طبيب تعرفه إلى الحد الذى جعلك لاتستطيع تذكرهم !

ـ سيدى .. أنا لا أعانى أى مشاكل فى الذاكرة ولا أتعامل مع أى أطباء سوى طبيب واحد .. هو د. (ياسين العوضى) .

ـ أنا د. (ياسين العوضى) .

ـ لا .. أنت لست د. (ياسين العوضى) .

لا أعتقد أن المشكلة التى يعانى منها هى السبب فى ذلك .. وبدلاً من البحث عن السبب الذى جعله يقول ذلك .. بحثت عن مريض آخر قد أعرفه ويعرفنى فننهى هذه المسألة .. وكان هناك آخر وسألته ، وكانت النتيجة :

ـ أنت لست د. (ياسين) .. أنا متأكد .

سألت آخر أعرفه جيدًا وهو كذلك .. يعرفنى جيدًا .. عفوًا .. فيما مضى .

ـ أنا لا أعرفك على الإطلاق .

سألت سيدة أعرفها جيدًا .. كانت لى معها جلسات طويلة ولم أتوقع أبدًا أن تقول :

ـ من أنت ؟ أنا لم أرك من قبل .

لا أعرف ما الذى حدث لمرضاى ؟ ربما قالوا ذلك لأنهم رأوا الجميع يقولون ذلك فقالوا مثلهم حتى لا يبدو كغرباء وسط البقية ..

ربما هذا هو السبب وبخاصة أنهم سمعوا التهديد الخاص بإرسالى للمستشفى وهذا يعنى ضمنيًا أن من يؤيدنى قد يتعرض لنفس التهديد ..

قال د. (مجدى) بكل ثقة يمتلكها :

ـ أرأيت ؟! لو أن هؤلاء مرضاك لعرفوك على الأقل .. ألا تتفق معى فى ذلك ؟

ـ ربما الخوف هو ما دفعهم لقول ذلك .

ـ حسنًا وماذا عن زملائك فى المستشفى .. هل تريدنى أن أتصل بهم أم نذهب إليهم ؟

ـ فكرة لا بأس بها سنذهب إلى المستشفى .. ونسأل الزملاء وستدرك هناك أننى على حق وتنتهى هذه المهزلة أو هذه اللعبة إن كانت هناك واحدة .

ـ حسنًا .. حسنًا .. اهدأ تمامًا وسننفذ كل ما تقوله .

هل هذا معقول ؟! ونظرت مندهشًا إلى د. (مجدى) الذى تابع قائلاً :

ـ أنت على حق .. إن ما تقوله هو عين العقل .

لا أصدق ما أسمعه .. إنها كارثة .. لو أن استنتاجى صحيحٌ فإنه سيقول الآن :

ـ تعال معي وتأكد أن كل شيء سيكون على ما يرام .

وللأسف كان استنتاجى صحيحًا .. لقد قال د. (مجدى) :

ـ سنذهب الآن ، وتأكد أن كل شيء سيكون على ما يرام .

إن هذا يعنى أنه يريد اصطحابى إلى المستشفى .. ليس بصفتى طبيبًا ولكن بصفتى مريضًا .. إن هذه العبارات سمعتها مرارًا من قبل حتى حفظتها عن ظهر قلب .

إنها نفس العبارات التى اعتاد د. (مجدى) استخدامها لخداع المرضى قبل اصطحابهم إلى المستشفى .. يقنعهم بأنه يصدقهم .. إنها الوسيلة المثلى لتهدئتهم .. حتى يقتنع المريض منهم بالفعل بصدق حديثه ويطمئن إليه فيذهب معه حتى يفاجأ باثنين من العمالقة يكبلانه ويلبسانه القميص الأبيض ويقيدان ذراعيه من الخلف .

لقد استخدم د. (مجدى) نفس العبارات معى الآن معتقدًا أننى لا أعرفها .. هذا لأنه لا يزال معتقدًا أننى لست د. (ياسين) الذى يعرف معنى هذه العبارات جيدًا .. ويعنى ذلك أيضًا أنه يرانى مجنونًا ويريد اصطحابى إلى المستشفى .

طبعًا .. لن أنخدع بالكلمات التى اعتدنا خداع المرضى بها .. ولكنى أريد الذهاب معه إلى المستشفى .. لأثبت له ولـ (وائل) أنى د. (ياسين العوضى) .

سأذهب معه حتى لو أنه يرانى مجنونًا ويريد تسليمى هناك .. فأنا فى النهاية د. (ياسين العوضى) وسيثبت الجميع هناك ذلك وينتهى الأمر .. ولكن !

ماذا لو ...؟

هل من الممكن أن .....؟

وتذكرت ما حدث عندما اتصلت بالمستشفى ..

* * *

رد علىّ (صفوت) ، وقال :

ـ إن (وائل) سليم جدًا .

ـ ماذا تقول ؟

ـ ما سمعته جيدًا .. لقد ذهبنا إلى هناك ووجدناه أكثر منا عقلاً وحكمة كعادته .

ـ عقلاً وحكمة !! ليتك حضرت إلى العيادة منذ دقيقة لتراه وهو حامل مكنسة ويرفعها فى وجهى ويهددنى بها .

ـ وجه من ؟ من أنت أصلاً ؟

ـ من أنا ؟! من أنا د. (ياسـ ...

انقطع الاتصال ..

* * *

اتصلت مرة أخرى ليرد علىَ (صفوت) و ...

ـ ما الذى حدث ؟ لقد انقطع الاتصال فجأة .

ـ أنت !!

وانقطع الاتصال مرة أخرى .

* * *

اعتقدت حينها أن صداقة (صفوتٍ) لـ (وائل) هى السبب فى موقفه العدائى معى وأنه لا يقبل فكرة كون صديقه مريضًا ولكن .. هناك احتمال آخر الآن ..

لِمَ لا يكون (صفوت) مريضًا مثلهم ؟! أصيب بالـ .. لا أعلم بالضبط .. ولكن .. يجب أن أعرف ذلك وعلى وجه السرعة .

وربما (عزمى) و(قدرى) أصدقاؤه قد أصيبا أيضًا بذلك المرض الجماعى .. المرض الذى من أبرز أعراضه محو هويتى من ذاكرتهم .

وكما أصيب د. (مجدى) .. ربما أصيب أيضًا د. (سامى) ود. (شريف) وربما د. (ياسر) .. من يدرى ؟مع العلم أن د. (ياسر) سافر إلى لندن منذ عامين .

وكما أصيبت خطيبتى التى لا تفارق صورتى عقلها أو قلبها .. ربما أصيب أيضًا جيرانى وربما !!

لا .. لا يمكننى تخيل هذه الفكرة .. لا يمكن أن يحدث ما أتخيله .. أتمنى ذلك .

سألنى د. (مجدى) وقد لاحظ شرودى كل هذا الوقت :

ـ هه .. هل أنت مستعد للذهاب معى للمستشفى ؟

جالت بخاطرى فكرة ربما تصلح لإثبات هويتى .. سألته :

ـ تقولون إننى لست د. (ياسين العوضى) .. حسنًا .. هل معكم صورة لى .. أقصد .. له ؟

لم يسمعنى (وائل) فقد كان منشغلاً مع أحد المرضى .. أما د. (مجدى) فأجاب :

ـ ليس معى .. ولكن فى المستشفى سنجد الكثير .. هيا بنا .

لا .. هذا آخر شيء أود فعله الآن .. لن أذهب إلى المستشفى معه .. فلو صح استنتاجي ولم أجد فردًا واحدًا هناك يعرفني فلن أتمكن من الخروج بعدها .. إن مستشفى الأمراض العقلية كالمعتقل .. لن ينصت أحد إليك هناك .. ولن يصل صوتك إلى الخارج .. فإذا كان إثبات هويتي بالخارج صعب فإثبات هويتي بالداخل أصعب .. بل مستحيل .. لذا يجب أن أظل بالخارج حتى أفهم ما حدث للجميع .. أو على الأقل أثبت هويتي التي فقدتها فجأة وبدون سابق إنذار .

موقفي الآن صعب .. لذا وجدت أن الرحيل هو التصرف الأنسب .. وغدًا يوم آخر . سأذهب بالتأكيد إلى المستشفى ولكن بمفردي وسأتبين حالهم هناك بمجرد رؤيتهم لي .. فإن سألوني عن هويتي فهذا يعني أنهم انضموا للقافلة .. وحينها لن أذكر أنني د. (ياسين) حتى لا يتهمونني بالجنون .

سأحاول العثور على أي مستند يثبت هويتي لحين استخراج واحد .

* * *

11 ـ اشتريت قطة وكلبًا !

نفس اليوم .. الساعة : الرابعة والثلث ..

مررت على المستشفى .. كان لابد أن أتأكد .. ولقد تأكدت ..

قررت في البداية أن أسير أمام البوابة فإن عرفني حارس البوابة ففي هذا أمل وقد أدخل .. أما إذا لم يعرفني فإن هذا يعني أن جميع من بالداخل من أطباء وممرضين حتى المرضى أنفسهم قد لا يعرفونني وهنا لن أجسر على الدخول ..

كانت هذه هي نظريتي .. وقررت تنفيذها على الفور .

مررت من أمام البوابة فلم يبد على الحارس أي انفعال .. سواء ترحيب أو دهشة أو أي انفعال آخر ولم تصدر عنه أي حركة وكأنه تمثال من حجر لرجل يدخن سيجارة .

ربما لم يلمحني ؛ لذا اقتربت منه ولوحت قائلاً :

ـ السلام عليكم .

نظر نحوي بلا مبالاة ، وقال باقتضاب :

ـ وعليكم .

بالتأكيد رآني جيدًا ولكنه لا يتذكرني لأنه لو كان يتذكرني لكان

فتح لى البوابة على الفور .. ثم يحكى لى عن الملل الذى يصيبه من عمله كحارس ، ثم يحكى عن معاناته من البدانة والكرش الذى بدأ يطفو على السطح .. وربما أبدى دهشته من مجيئي بدون السيارة .. هذا هو سلوكه المعتاد معى الذى لم أر منه شيئا اليوم .

اقتربت منه ، وسألته لأتأكد من كونه لا يتذكرنى :

ـ هل هذه مدرسة (الحرية) ؟

أجاب باقتضاب :

ـ لا .. مستشفى .

ـ مستشفى (الحرية) ؟

ـ لا .. مستشفى الأمراض العقلية .. أتحب الدخول ؟

ـ لا .. شكرًا .. فى وقت آخر .

نظر لى بدهشة وحاول النهوض .. ولكنى قد اختفيت من أمامه .

وهكذا تأكدت .. تأكدت من ماذا ؟ من صحة استنتاجى طبعًا .. لقد أصيب الجميع .. العقلاء قبل المرضى أصبحوا لا يعرفوننى .. لا ألوم الآن مرضاى .. لقد أصيبوا مثل الجميع .. فلو حتى كنت أرتدى الأخضر أو البرتقالى لم يكونوا ليشهدوا لى .

ماذا أصاب الجميع ؟ لا أعتقد أن الأمر كله دعابة .. لا يمكن

أن يشترك كل هذا العدد فى دعابة ثقيلة من أجلى .. إذن ما الذى أصابهم ؟ هل هو مرض .. وباء انتشر فى الجميع فأسقطونى من ذاكرتهم .. أم أنها أشعة كونية من عالم آخر تعرض لها الجميع وبدلاً من تحولهم لكائنات تابعة للغزاة .. مُحيت هويتى من ذاكرتهم .. ولنفترض .. لماذا أنا ؟ هل لأننى سأكون بطل المقاومة والتحرير يومًا ما ؟

* * *

نفس اليوم .. الساعة : الرابعة والنصف مساءً ..

كنت سائرًا فى الشارع عائدًا إلى شقتى حين قابلتها ..

تذكرتها على الفور .. كيف أنساها ؟ إنها المريضة الوحيدة التى دخلت حجرة الكشف خلال هذين اليومين .. إنها (منيرة الكومى) السيدة التى تعانى من (البارانويا) .. تُرى هل أصيبت كالآخرين أم أنها ما زالت تتذكرنى ؟

مررت بجوارها بهدوء ففوجئت بها تمد يدها للمصافحة وتصيح قائلة :

ـ د. (ياسين) .. كيف حالك ؟

وبدلاً من الرد المعتاد سمعتنى أقول :

ـ نعم .. أنا هو .

كنت فرحا بأن هناك من يعرفنى .. سألتنى مندهشة :

ـ ماذا ؟

ـ لا عليك .

ـ دكتور .. كيف حالك ؟

ـ بخير ، وماذا عنك ؟

ـ أفضل من ذى قبل .

ثم نظرت فى ساعتها ، وقالت :

ـ هل لديك أية ارتباطات الآن ؟

بماذا أخبرها ؟ هل أخبرها أن خطيبتى لا تعرفنى .. أن صديقى لا يعرفنى .. أن المرض الذى يعمل عندى لا يعرفنى .. ومرضاى أيضًا لا يعرفوننى .. تقريبًا جميع من أعرفهم لا يعرفوننى .. وهذا يعنى أنها الوحيدة على سطح الكرة الأرضية التى نادتنى باسمى خلال هذين اليومين ؟ هل أخبرها أننى لا أستطيع دخول عيادتى وأننى لا أحمل أية أوراق تدل على هويتى؟ هل أخبرها أنه لن يكون لدى أى ارتباطات بعد كل هذا ؟ طبعًا لن أخبرها .. فقط سألتها :

ـ ولِمَ هذا السؤال ؟ هل تريدين جلسة ؟

ابتسمت قائلة :

ـ لا .. ولكنى أدعوك لتناول وجبة غداء معى .. فهل تقبل ؟

ـ لا بأس .. ولكنى سأدفع الحساب .

فى الوقت الحالى لا أستطيع الذهاب إلى العيادة .. أو منزل خطيبتى .. أو المستشفى ، ولن أظل طيلة اليوم فى منزلى .. وأريد فى نفس الوقت التحدث إلى أحد حتى لا أجن .. ولهذا لم أكن لأرفض الدعوة .

هناك ميزة فى السيدة (منيرة الكومى) قد لا أجدها فى أحد هذه الأيام وهى أنها مازالت تراتى د. (ياسين العوضى) .. سألتها أثناء تناولنا الوجبة داخل المطعم :

ـ ماذا تفعلين لو أخبرك أحد أنك لست (منيرة الكومى) ؟

ـ أتجاهله .

ـ حسنًا .. هذا تصرف سلبى .. أريد منك تصرفًا إيجابيًا .. ما الذى كنت ستفعلينه ؟

ـ أبرز له بطاقتى .

ـ ماذا لو أنك لا تملكين واحدة ؟ ماذا لو أنك فقدتِها ؟

ـ أستخرج واحدة أخرى .

ـ حتى ذلك الحين .. كيف تثبتين لذلك الرجل أنك (منيرة الكومى) ؟

نظرت إلىّ متعجبة ، وقالت :

ـ لِمَ كل هذه الأسئلة يا دكتور ؟ هل هى مسابقة ؟ لغز مثلاً ؟ ما هى الجوائز ؟

ـ لا .. إنه مجرد سؤال عادى .

فكرت قليلاً ، ثم قالت :

ـ حسنًا يمكننى أن أستدعى كل العاملين فى الشركة لإخباره باسمى أو عليه أن يسأل جيرانى .. وإن لم يكفهِ هذا العدد يمكنه أن يسأل العملاء أو مديرى الشركات المنافسة أو مديرى وكالات الإعلان .. وإن لم يتمكن من الوصول إلى هؤلاء الناس يمكنه أن يسأل الخضرى واللبان وبائع الجرائد وساعى البريد والزبال .. إلخ .

ـ حسنًا .. هل يمكنك أن تأتى معى إلى العيادة وتخبريهم بأننى د. (ياسين العوضى) ؟

سألتنى مندهشة من السؤال الذى طرحته :

ـ ماذا ؟

ـ لا عليك .

شعرت أنه من غير اللائق أن أخبرها بمشكلتى السخيفة .. مازلت أنا الطبيب فى نظرها .. يصعب علىّ أن أغير هذه النظرة

عندها .. لذا لا يمكننى استخدامها كشاهدة ولكن قد أستخدمها إذا ضاقت بى الطرق ولم أجد سواها وأتمنى ألا يحدث ذلك .

وهناك شىء آخر .. لماذا لم أفكر فى جيرانى ؟ ربما لم يصابوا ؟ أتذكر أن البواب قد تعرفنى على الفور عندما كنت بصحبة البوليس .. وهذا يعطينى أملاً .. لابد أن الجيران سيتعرفون على أيضًا .. ربما لم يصب سكان العمارة بالعدوى .

شعرت براحة نفسية فجأة عندما جالت بذهنى هذه الخواطر .. والفضل يعود إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، ثم السيدة التى أعطتنى الحل منذ قليل .

سألتها وأنا أتعجب من الشراهة التى لديها :

ـ ألا تخشين هذا الطعام ؟ أم أنك قد شفيت من (البارانويا) ؟

قالت والطعام مازال فى فمها :

ـ لقد اشتريت قطة .

ـ ماذا ؟

ـ وكلبًا أيضًا .

ما هذه الإجابة الغريبة .. قلت لها مندهشًا :

ـ ما هو السؤال الذى سألته بالضبط ؟!

ـ ألم تسألنى عن (البارانويا) ؟

ـ نعم .

ـ حسنًا .. لقد نفذت نصيحتك واشتريت قطة .. لأجرب عليها الأطعمة التى أشتريها .. حتى أننى لم أعد آكل شيئًا قبل أن أطعمها منه .. وكذلك أيضًا الكلب .. اشتريته لنفس الغرض .. طبعًا إلى جانب غرض الحراسة .. ولكن جيرانى متضايقون من وجود الكلب .. حيث أضعه فى مدخل العمارة .. ولكنى كالعادة لا أهتم بمثل هذه الشكوى .. المشكلة أن هناك أشياء لا تأكلها قطتى .. أفكر أحيانًا فى شراء دجاج .

ـ حسنًا .. ماذا تفعلين فى الأطعمة التى لا يمكن تقديمها للقطط أو الكلاب أو حتى الدجاج ؟

ابتسمت ، وقالت :

ـ لا تقلق .

ـ ماذا تفعلين ؟ هل تقومين بتحليلها ؟

ـ لا .. الأمر أبسط من ذلك .. أنا أجربها على جيرانى .. المهم الآن .. هو أن ثقتى فى الآخرين ازدادت .. لأن القطة مازالت تعيش .. والكلب أيضًا وكذلك جيرانى .. ومن يدرى ؟! ربما أتخلص من (البارانويا) تمامًا فى يوم من الأيام .

ـ هذه أخبار سارة .

ـ الفضل يعود إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ ثم لك يا دكتور .

ـ أنا لم أفعل شيئًا .. المهم أنك أصبحت أفضل حال من ذى قبل .. بل أصبحت تأكلين من المطاعم دون أن تجربى الطعام على قط أو كلب .

ـ لا .. لم أصل إلى هذه الدرجة من الثقة بعد يا دكتور ؟

ـ ماذا تعنين ؟

ـ أعنى أن ثقتى بالآخرين قد ازدادت .. ولكنى مازلت أجرب الطعام قبل تناوله .

ـ وكيف جربته الآن وأنا لا أرى معك قطًا أو كلبًا أو حتى فأرًا ؟

ابتسمت ابتسامة عريضة ، وقالت :

ـ لقد أبدلت الأطباق معك يا دكتور .

وعادت لتكمل طعامها وكأنها قالت شيئًا عاديًا .. أفهم من ذلك أنها انتظرت تناولى ملعقة أو اثنتين ، ثم انتظرت قليلاً للتأكد من سلامتى وأن الطعام لم يقتلنى ، ثم أبدلت بعدها الأطباق دون أن أشعر .. يدها خفيفة أو ربما كنت شاردًا ..

ربما لهذا دعتنى إلى الغداء .. وربما لهذا طلبت نفس الصنف الذى طلبته ..

يجب ألا أنخدع كثيرًا بالتصرفات الحسنة .. فربما وراءها نوايا سيئة ..

انتهت من طعامها أما أنا فقد توقفت بعد جملتها الأخيرة .. ثم رأيتها تلتفت إلى التليفزيون المعلق على الحائط وتتابع ما يعرض فنظرت إلى التليفزيون ، وسألتها :

ـ أتحبين الأفلام العربية القديمة ؟

ـ لذيذة .

قالتها دون أن تبعد نظرها عن الشاشة ، ثم تابعت قائلة :

ـ من يصدق أن (عماد حمدى) الطيب يفعل ذلك ؟

استدعيت النادل فأتى على الفور لأدفع له ثمن الوجبة وفوقه بقشيش .. بعد انصراف النادل فوجئت بالسيدة (منيرة) تفتح حقيبتها وتخرج مبلغًا من المال .. ووضعته على المنضدة ، فقلت :

ـ ألم نتفق أننى سأدفع الحساب ؟

ـ هذا ثمن الجلسة .

ـ ماذا ؟

ـ الجلسة .. لم أدفع مليمًا بالأمس .

قالتها وهى منهمكة فى متابعة الفيلم العربى .. حسنًا .. لقد فهمت

الآن لماذا لم أجد اسمها مسجلاً فى الدفتر .. ولماذا كانت مترددة فى الخروج .. لم تكن تخشى (سلفستر ستالونى) .. كانت تخشى (وائل) الذى غافلته ودخلت .. ولكن لماذا ؟ لماذا لم تدفع بالأمس طالما ليست بخيلة ؟ هل كانت مفلسة حينها ؟ لا أظن .. على أى حال سألتها :

ـ ولماذا لم تـ ...

قاطعتنى قائلة :

ـ لم أرد أن أكتب اسمى حتى لا يعرف أحد أننى أتردد عليك حتى لا يستخدموك أنت أيضًا فى قتلى .. (عماد حمدى) .. من يصدق ؟ ولهذا يجب أن أحتاط من الجميع .

وضربت كفًا بكف .. يبدو أن الفيلم يجذبها جذبًا .. نظرت إلى الفيلم ، وقلت :

ـ ما اسم هذا الفيلم ؟

ـ (المنزل 13) .. (المنزل رقم 13) .. لا أتذكر .. المهم أنه يحكى عن رجل يسـ ...

وبدأت فى سرد التفاصيل .. كانت قصته مثيرة بالفعل .. إنها تحكى عن الـ ...

يا إلهى .. ربما هذا هو ما حدث بالفعل .. لِمَ لا ؟

لو أن هناك .. فإنه سوف ... نعم .. هذا لأن الـ ... حقًا .. أيمكن أن ... ربما .. لِمَ لا ؟

هذا منطقى .. قد يكون الـ ... ربما .. هذا يعنى ... يجب أن ... وقبل أن ... لابد ...

قد أكون وجدت التفسير المنطقى لما حدث ويحدث ولكن ..

كيف أتصرف ؟

كيف ؟

* * *

12 ـ التفسير المنطقى الوحيد ..

نفس اليوم .. الساعة : الخامسة ..

سألت السيدة (منيرة) أثناء خروجنا من المطعم :

ـ ما الذى تعرفينه عن التنويم المغناطيسى ؟

ـ لماذا تسأل يا دكتور ؟

ـ مجرد سؤال .

ـ حسنًا .. كل معلوماتى عنه نابعة من الأفلام التى شاهدتها .. على سبيل المثال ذلك الفيلم الذى شاهدنا نهايته منذ قليل .. رجل يستغل رجلاً آخر للقيام بجريمة .. واستخدم فى ذلك التنويم المغناطيسى .. حتى يجعل الرجل الآخر لايدرى شيئًا عما فعله .

ـ ولكن التنويم المغناطيسى لا يمكنه أن يجبرك على فعل شىء لاتريدين القيام به .

رفعت يدها ، قائلة :

ـ أنا لا أعرف شيئًا عن نظرياتكم هذه .. ولكن قبل بداية الفيلم يوجد تنويه أن أحداث الفيلم مأخوذة عن حادثة حقيقية .

ـ أمتأكدة أنه هذا الفيلم ؟

لم ترد على سؤالى .. صمتت لحظات ، ثم قالت :

ـ هناك أيضًا فيلم فى (الهوا سوا) .. (إسماعيل ياسين) و(شادية) و(كمال الشناوى) .

توقفت قليلاً منتظرة تعليقى .. ثم تابعت بعد طول انتظار :

ـ أقصد الفيلم الذى كانت فيه (شادية) منومة مغناطيسيًا طيلة الوقت وعمتها كانت المسئولة عن ذلك .

ـ أعتقد أنى رأيت هذا الفيلم .. يبدو أنك متابعة جيدة للأفلام العربية ؟

ـ أعشقها .. خاصة أفلام الأبيض والأسود .

حسنًا .. أعتقد أن التنويم المغناطيسى هو التفسير المنطقى الوحيد لما حدث .. ويحدث .. هناك شخص ما .. لغرض ما .. محا من ذاكرة الذين أعرفهم هويتى ..

لا أعلم من هو ولماذا فعل ذلك ولكنى سأعرف ـ بإذن الله ـ ولن أرحمه حينها .. لقد محا هويتى من ذاكرتهم .. حسنًا .. سأمحو اسمه من سجل الأحياء .

متى حدث ذلك ؟ لست أدرى ولكن يمكننى التخمين .. لقد بدأ كل شىء بالأمس .. أصبح الجميع لا يعرفوننى فجأة .. الأمس كان السبت .. الخامس من مارس .. إذن قام ذلك المجرم بفعلته مساء الجمعة أو صباح السبت .. ولهذا لم تصبح السيدة (منيرة) مثل الآخرين لأنى لم أعرفها قبل ذلك اليوم .

سألت السيدة (منيرة) أثناء سيرنا متجهين إلى العمارة التى تسكن بها :

ـ حسنًا .. دعينى أسألك سؤالاً .

ـ تفضل يا دكتور .

ـ لو أن هناك رجلاً يستخدم التنويم المغناطيسى من أجل تنفيذ مخطط حقير ضدك .

ـ هل أخبرك أحد بذلك ؟ كنت متأكدة طيلة الوقت أن هناك من يفكر فى الـ ...

قاطعتها قائلاً :

ـ إنه مجرد افتراض لأعرف رأيك فى الأمر .. لا يوجد مخطط ضدك ولا يريد أحد قتلك .. دعك من هذه المخاوف حتى تتخلصى من (البارانويا) نهائيًا .

ـ لا تقلق يا دكتور .. لقد أوشكت على التخلص منها .

ـ حسنًا .. فلنعد للسؤال .. هناك صديقة عزيزة عليك .. وهناك رجلٌ يستخدم التنويم المغناطيسى من أجل تنفيذ مخطط حقير ضدها .. بماذا تنصحينها ؟ وكيف تتصرفين ؟

ـ سؤال سهل .

ـ حسنًا .. والإجابة هى :

ـ تستعين بمنوم مغناطيسى .. لايفل الحديد إلا الحديد يادكتور .. وهذا ما حدث فى فيلم (شادية) .. لقد استعان (إسماعيل ياسين) بـ (عبد السلام النابلسى) ..

لقد أعطتنى الحل .. نعم .. يجب أن أستعين بمنوم مغناطيسى .. أنا لم أكن بارعًا قط فى هذا المجال .. لذا يجب أن أستعين بخبير فيه .. يقوم بعكس العملية التى قام بها ذلك المجرم .. ولكن من هو هذا المجرم ؟ وأين أجد ذلك الخبير ؟

ـ أين أجد واحدًا ؟

ـ تقصد الـ ... أعتقد أن ...

لم أفهم ما قالته ولكنى رأيتها تفتح حقيبتها وتضع يدها فيها وتخرج كارتًا صغيرًا أعطته لى على الفور ، وقالت :

ـ خذ .. قد ينفعك هذا .. سمعت أنه خبير فى التنويم المغناطيسى .

نظرت فى الكارت وقرأت ما كتب عليه :

(د. صقر الشاذلى .. طبيب نفسى)

سألتها متعجبًا :

ـ لماذا تحتفظين بكارت طبيب ...

لم أجدها أمامى .. كانت تقف بعيدًا تلوح لأحد التاكسيات .. فاتجهت إليها ، وسألتها :

ـ لماذا تريدين تاكسيًا ؟ ألا تسكنين فى هذا الشارع ؟

ـ لا .

ـ ألم تخبرينى أنك ...

ـ لا .

ـ لا !! كيف ؟ أنا متأكد .

ـ حسنًا .. لقد كذبت .

ـ حسنًا .. أين تسكنين ؟

وقف التاكسى أمامنا مباشرة ، فاتجهت إليه قائلة :

ـ لن أخبرك أبدًا .. لن أخبرك أبدًا .

ـ لماذا ؟

فتحت الباب ووضعت إحدى قدميها بالداخل ، وهى تقول :

ـ حتى لا أخاف منك .. فطالما أننا بعيدان ولاتعرف عنى الكثير سأرتاح إليك .

كانت تحادثنى وهى تطل برأسها من خلال نافذة التاكسى .. حيث تابعت قائلة :

ـ أما لو أنك عرفت مكان إقامتى فسوف تنضم إلى القائمة .

لم أجد شيئًا أقوله سوى :

ـ شكرًا على الكارت وشكرًا على إجابتك .

ـ شكرًا على الجلسة .. لقد تغيرت حياتى بعدها .

ـ وأنا كذلك تغيرت حياتى بعدها .. هل تصدقين ؟

ـ كيف ؟

ـ لا عليك .

ـ حسنًا .. شكرًا على الوجبة .

ـ شكرًا على حساب الجلسة .

لم أسمع ما قالته بعدها لأن التاكسى قد أصبح على مسافة بعيدة .. ثم اختفى تمامًا عن نظرى ..

أخشى أن يسأل السائق السيدة (منيرة) :

ـ إلى أين تريدين الذهاب يا سيدتى ؟

ـ إلى منزلى .

ـ حسنًا ، وأين هو منزلك ؟

فتجيب عليه بكل بساطة :

ـ لن أخبرك أبدًا .. لن أخبرك أبدًا .

* * *

نفس اليوم .. الساعة ؛ الخامسة تقريبًا ..

استفدت كثيرًا من لقائى بالسيدة (منيرة) .. يبدو أننى كنت أحتاج شخصًا آخر أشاركه همومى وأستفيد من آرائه .. حتى لو كان ذلك الآخر أحد مرضاى .. وعقلان بالتأكيد أفضل من عقل واحد .. ويا لسخرية القدر .. استفادت هى من نصائحى واستفدت أنا من نصائحها .. لقد اقترحت الاستعانة بالجيران فى إثبات الهوية .

ولهذا اتجهت على الفور إلى العمارة التى أسكن بها .. وسؤال واحد يدور فى عقلى ألف مرة وكان لابد من الإجابة عليه ، وهو : هل هم تحت سيطرة التنويم مثل (وائل) أم أنهم لم يتعرضوا له مثل البواب ؟

وظل السؤال يطرح نفسه حتى وجدت نفسى أمام العمارة .. أرى البواب جالسًا على الكنبة ؛ فحييته قائلاً :

ـ كيف حالك يا عم (مدبولى) ؟

ـ الحمد لله يا دكتور .

ـ لقد قلت لك كيف حالك يا عم (مدبولى) ؟

ـ بخير .. نحمد الله .

ـ لقد قلت لك يا عم (مدبولى) .

ـ نعم .. سمعتك يا د. (ياسين) .

ـ شكرًا .

ثم أخرجت ما فى جيبى بقشيشًا له .. لقد أعطانى الأمل من جديد .

* * *

أمام شقة الأستاذ / على السيد .. فى الدور الأول .

طرقت الباب ففتح لى ابنه الصغير ذو السنوات الخمس فسألته :

ـ هل تعرفنى ؟

نظر إلىّ بدهشة ، ثم اتجه إلى الداخل ، وهو يصيح :

ـ بابا .. بابا .

وبعد لحظات جاء (بابا) من الداخل فابتسمت وأنا أمد يدى له قائلاً :

ـ لا أعرف لماذا يصيح ابنك هكذا ؟

ضحك قائلا ، وهو يسلم علىّ :

ـ أنت تعرف أن كل الأطفال مزعجون .. لديهم طاقة هائلة يفرغونها طيلة الوقت .

ـ نعم .. معك حق .

لا أعرف ماذا أقول له .. هل أسأله (من أنا ؟) سيعتقد أننى جننت .. وهذا آخر شىء أتمناه فى الوقت الحالى .. هنا يأتى السؤال : كيف أعرف أنه يعرفنى دون أن أسأله ؟

لم أجد إجابة لهذا السؤال ؛ لذا ظللت صامتًا .. ولما طال صمتى وأنا مازلت واقفًا أمام بابه ، سألنى :

ـ أى خدمة ؟

ليس هذا دليلاً على أنه لايعرفنى .. إن الأستاذ (على السيد) ليس اجتماعيًا لذا ليس من الغريب أنه لم يدعُنى للدخول .. أجبته قائلاً :

ـ أريد بصلة .. أحتاجها بشدة من أجل أكلة أعدها .

اختفى الأستاذ (على) فى الداخل ، ثم عاد بعد دقيقة حاملاً بصلتين .. حتى الآن لم أتأكد من الأمر .. ثم أعطانى البصلتين وهو يقول ..

ـ تفضل .

ـ شكرًا .

هل هناك شىء آخر أقوله ؟ اعتقدت أننى من خلال الحديث قد أعرف .. ولكن الحديث كان أقصر من اللازم .. حسنًا .. يبدو أنه ليس أمامى سوى السؤال المباشر (من أنا ؟) .. أو (هل تعرفنى ؟) .. وليكن مايكون وليظن مايظنه .

وفجأة قبل أن أهم بطرح سؤالى ، وجدته يقول :

ـ لأى شقة ؟

حسنًا .. كان هذا السؤال بمثابة القول اليقين الذى يقطع أى شك .. أنه لا يعرفنى .

سألته ببرود لأفهم أكثر :

ـ ماذا ؟

ـ أقول .. لأى شقة ؟ أقصد إلى أى شقة أنت متجه ؟ أو طلبت البصل لأى شقة ؟

ـ لشقة الدكتور (ياسين العوضى) .

ـ الطبيب النفسانى ؟

ـ نعم .. هل تعرفه ؟

ـ طبعًا .. بحكم الجيرة .

ـ أقصد هل رأيته ؟

ـ طبعًا .. رأيته كثيرًا .. هنا فى العمارة وليس فى عيادته بالتأكيد .

قالها وضحك .. الغريب فى الأمر أن جميع ما قاله حقيقى .. بالفعل نرى بعضنا كثيرًا ولكنه يتحدث عنى بصفة الغائب .. لماذا ؟ إن هذا يعنى أنه لا يرانى د. (ياسين) .

كيف يتذكر أنه يرانى كثيرًا وفى نفس الوقت لا يتذكرنى شخصيًا ؟ الأمر محير .

ـ ابنك (وليد) هو الذى فتح لى .. أليس كذلك ؟

ـ نعم .. إنه هو .

اختفت الابتسامة الودودة عندما انتبه إلى شىء ما ..

ـ كيف عرفت ؟

لم أجد إجابة مناسبة سوى ..

ـ يحدثنى عنه د. (ياسين) كثيرًا .. هل يمكننى أن أسلم عليه ؟

تعجب جارى من الطلب ولكنه نادى ابنه على أية حال .. بعد ثوان من صياح الأب جاء (وليد) حاملاً عربة صغيرة فى يده اليمنى ومسدسًا فى اليد الأخرى .. فقال والده :

ـ تعالَ يا (وليد) .. رحب بعمو .. أأأ ... ما هو اسمك ؟ أنا لم أعرفه حتى الآن .

حملت (وليد) بيدىَ ورفعته عاليًا ، وقلت له مبتسمًا :

ـ من أنا ؟

صمت تمامًا فعدت أسأله من جديد فلوى شفته السفلى ورفع كتفيه لأعلى وهذه علامة على عدم المعرفة عنده . هنا سمعت الأب يقول مازحًا :

ـ كيف يعرفك وأنا لم أتعرف بك بعد ؟

ـ ربما .

من الواضح أن المسألة أخطر مما أتصور .. هنا عاد الأستاذ (على) يسأل من جديد :

ـ لم أتعرف بحضرتك بعد .. ما اسمك ؟

* * *

نفس اليوم .. الساعة : السادسة تقريبًا ..

شقة المهندس / كامل قابيل .. الدور الثالث .. طرقت الباب ومازال عندى أمل أن أجد من يتذكرنى .. فتح لى المهندس ، فقلت له :

ـ مساء الخير .

ـ هل أجد عندك خيارًا .. أحتاجه بشدة .

لقد طلبت من الأستاذ (على) بصلة وطلبت من الحاج (صادق) فلفلاً وطلبت من السيد (شكرى) جرجيرًا .. وهأنذا أطلب خيارًا .. يبدو أننى بصدد عمل سلاطة دون أن أدرى .. فى الواقع أعطانى الجميع ما طلبته .. المشكلة أن لا أحد منهم قد تعرفنى .

أجابنى المهندس قائلاً :

ـ للأسف ليس عندى .

وشرع فى إغلاق الباب .. هكذا لن أعرف شيئًا .. سألته :

ـ هل عندك كرنب ؟

ـ ماذا ؟

ـ هل عندك بصل ؟

ـ لا .. للأسف .

ـ هل عندك فلفل .. خيار .. طماطم .. قـ...

ـ للأسف .. ليس عندى أى شىء من هذا .. أنا آكل دائمًا بالخارج ..

آه .. تذكرت .. أنه دائمًا يتناول طعامه فى ...

ـ مطعم (ليالى الحلمية) ؟

ـ نعم .. كيف عرفت ؟

هنا عرفت أنه مثل الباقين فانصرفت فى هدوء .

* * *

بعد المرور على عدد كثير من الشقق .. واكتشاف أن جميع من يسكنونها لا يعرفوننى .. مازال الأمل يجتاحنى أن أجد من يتذكرنى لهذا طرقت باب الآنسة (شيرى) .. الدور الخامس .. وانتظرت ..

بعد دقائق فتحت الباب .. طبعًا لم أعد أستخدم حيلة (البصلة) .. كنت أسأل السؤال مباشرة (من أنا ؟) حتى أختصر الوقت .. فمازالت أمامى شقق كثيرة .. وأريد أن أنتهى من سؤال جميع سكان العمارة هذه السنة .. لذا قلت :

ـ مساء الخير يا آنسة .. من أنا ؟

ظهرت تعبيرات الفزع على وجهها فجأة ، ثم أغلقت الباب بسرعة ، وسمعتها تقول من خلفه :

ـ انصرف قبل أن أبلغ البوليس .

ثم أعقبت ذلك بالصيحة الشهيرة :

ـ الحقووووووووونى ... حراااااااااامى .

* * *

لم يكن هذا هو الموقف المحرج الوحيد الذى حدث لى .. كان واحدًا من ثمانية .. وطبعًا لم أكن لأورط نفسى حتى أقضى ليلة أخرى فى السجن .. تكفينى ليلة واحدة فى العمر .. ولهذا هربت من أمام بابها بأقصى سرعة .. لم أكن أعلم أنها تغيرت من ناحيتى بهذا الشكل .. ولكن .. لِمَ لا ؟ لقد فعلتها خطيبتى قبلها .

انتهيت من بقية الجيران فى خلال ساعة .. وخرجت بنتيجة واحدة : جميع سكان العمارة لايتذكروننى .. عدا البواب طبعًا .. ولا أعلم لماذا ؟

لقد أصبح د. (ياسين العوضى) بالنسبة لهم .. اسمًا بلا وجه .. لا أعرف كيف حدث ذلك ومن دبر لحدوثه .. ولكنى سأعرف إن شاء الله .. لو استطعت تنظيم أفكارى قد أتوصل إلى الفاعل .. ذلك المجرم الخفى الذى نفذ هذا المخطط بهذه الدقة والإتقان ..

1 ـ لابد أنه يعرفنى جيدًا .

2 ـ لابد أنه يعرف من أعرفهم .. والدليل على ذلك أنه وصل إليهم جميعهم .

3 ـ هم يعرفونه أو أصبحوا يعرفونه .. لابد من ذلك حتى يستطيع تنفيذ مخططه فى هدوء .

4 ـ يجيد التنويم المغناطيسى أو أنه يستعين بواحد يجيده .. ربما هناك شركاء .

5 ـ قابل جميع من أتعامل معهم فى المدة من مساء الجمعة حتى ظهر السبت .. هذه النقطة ستقلل عدد المشتبه فيهم إلى أقصى حد .. فلو أننى استطعت معرفة من تردد عليهم فى هذه المدة قد أتوصل إلى شخص واحد فى النهاية .

حسنًا .. يجب علىَّ الذهاب إلى ذلك الطبيب النفسى .. الخبير بالتنويم المغناطيسى لأسأله المشورة .. ليس أمامى حل آخر .

من يصدق ؟ طبيب نفسى يذهب إلى طبيب نفسى آخر ..

والطبيب الأول هو أنا .. فى الواقع لم أتخيل أن يحدث ذلك أبدًا .. ولكن للضرورة أحكام .

دخلت شقتى لآخذ حمامًا قبل الذهاب إليه .. لم أكن أعلم حينها أن هناك معجزة فى انتظارى .. ففى حجرة النوم وعلى السرير مباشرة وجدت متعلقاتى ..

هويتى المفقودة ..

لقد وجدت بطاقتى وجواز سفرى وكل المستندات الأخرى التى تثبت بما لايدع مجالاً للشك أننى ..

د. (ياسين العوضى) ..

أحمدك يارب ..

* * *

13 ـ حقيقة ما حدث ..

نفس اليوم .. الساعة : السابعة والربع مساءً ..

قفزت صورة خطيبتى إلى ذهنى فجأة .. قبل صورة أى شخص آخر .. نعم .. لابد أن تكون الأولى .. لابد أن أثبت لها قبل الجميع أننى د. (ياسين العوضى) .

ثم يأتى بعد ذلك (وائل) أو د. (مجدى) أو أ. (على السيد) أو أى شخص آخر .

كنت لا أزال مرتديًا ملابسى لذا لم أستغرق وقتًا فى الخروج من الشقة ، ثم هبطت السلالم بسرعة حتى وصلت إلى عم (مدبولى) البواب .

وجدتنى مدفوعًا فجأة لأسأله :

ـ من أنا يا عم (مدبولى) ؟

ـ د. (ياسين) .

إجابة متوقعة ولكن السؤال هو : لماذا هو دون الآخرين الذى ما زال يتذكرنى ؟

سألته مازحًا :

ـ وما عملى يا عم (مدبولى) ؟

ـ دكتور .

ـ دكتور فى أى مجال ؟

ـ لا أعرف .. أنت لم تخبرنى .

ـ ماذا ؟

ـ نعم .. إن كل ما أعرفه عنك هو أنك د. (ياسين) صديق د. (ياسين العوضى) .

ـ صديقه .. من قال هذا ؟

ـ أنت .

ـ أنا ؟! مستحيل .

ـ يا دكتور .. عندما رأيتك هنا لأول مرة بالأمس سألتك (من أنت ؟) لأنى لم أكن لأسمح بدخول غريب العمارة فأجبتنى بأنك د. (ياسين) فسألتك عن الشقة التى ستصعد إليها فأجبتنى أنها شقة فى الدور الرابع .. ولأن جميع شقق الدور الرابع خالية عدا شقة د. (ياسين) فخمنت أنك صديقه .. ألست كذلك بالفعل ؟

أتذكر هذا الحوار جيدًا .. لقد حدث بالأمس حقًا .. واعتقدت حينها أنه يمزح وجاريته فى المزاح ولكنى لم أتوقع أنه يسألنى بجدية .. الآن فقط اكتشفت ذلك .. واكتشفت أنه مثل بقية سكان العمارة .. جميعهم لا يتذكروننى .

أخرجت بطاقتى وأريتها له ، وقلت :

ـ انظر إلى البطاقة .. أنا د. (ياسين العوضى) .. احفظ ذلك جيدًا .. سأسألك فيه عند عودتى .

نظر إلى البطاقة بدهشة ، ثم فتح فمه عن آخره ، وقال كلمة واحدة :

ـ ماذا ؟؟

* * *

قدت سيارتى .. تأكدت من وجود رخصة قيادتى وبطاقتى فى جيبى .. لا أعلم كيف ظهرت فجأة وبهذه الطريقة .. ولكنها ظهرت ..

من الذى اقتحم شقتى ووضعها على السرير فى غرفة نومى ؟ الله أعلم .

لن أبحث عن إجابة هذا السؤال الآن .. إن ما يشغلنى فى هذه اللحظة هو إثبات هويتى لخطيبتى .. أن تعلم أننى مازلت د. (ياسين العوضى) خطيبها .. حبيبها .. لم أتغير .. لابد أن أستعيد حبها لى .. لابد أن تتذكر حبى لها .

وهناك .. وقفت أمام الشقة التى يسكنها الملاك البرىء مترددًا .. قلبى يخفق بشدة .. من الحب ؟ ربما .. أم من الخوف ؟ الخوف ألا تقتنع بالأدلة التى معى .. الخوف ألا تتذكرنى .. ماذا أفعل حينها ؟ لا .. لا داعى من هذه الأفكار السوداء .. لابد أنها ستتذكرنى .. البطاقة سوف تؤكد لها ما أقوله .. سوف نستعيد ذكرياتنا سويًا .. سوف نتذكر كل لحظة جميلة قضيناها سويًا .. سوف نتذكر كل

حديث صامت دار بين عيوننا .. كل خفقة قلب حدثت أثناء وجودنا معًا .. وسوف نتذكر كل شيء .. لايمكن أن ينتهى حبنا بهذه السهولة .. لايمكن أبدًا .. إن حبنا أقوى .. وأقوى .

وسأحاول معها معرفة من الذى قام بزيارتها .. والذى قام بمسحى من ذاكرتها .. وإن لم تستطع التذكر فسوف أحاول مع د. (مجدى) وإن لم يستطع هو الآخر .. سأحاول مع (وائل) .. وهناك أيضًا أ. (على السيد) .. الحاج (صادق) السيد (شكرى) .. المهندس (كامل قابيل) الأستاذ (جمعة) الدكتور (أباظة) .. سأسأل جميع جيرانى .. وسأسأل زملائى فى المستشفى والممرضين والمرضى أنفسهم .. لن أترك أحدًا حتى أصل إلى وجه .. أو اسم .. أو أى شيء قد يقودنى إلى ذلك الفاعل ..

طرقت الباب .. أتمنى أن تطل علىّ بوجهها الملائكى الجميل لتمنحنى قدرًا كبيرًا من السعادة .. قدرًا لا أستطيع حصره .

وحدث ما تمنيته .. لقد فتحت لى .. أعتقد أنها نظرت من العين السحرية ورغم ذلك فتحت لى .. هذه بداية مبشرة .. قلت لها :

ـ كيف حالك يا (نادين) ؟

ـ بخير .. تفضل .

قالتها بابتسامة ودودة وأفسحت لى مجالاً للدخول .. إن الأمور تسير على نحو أبسط مما تخيلته .. لا أصدق نفسى .

جلست على الأريكة التى فى الصالة بينما اتجهت هى إلى الداخل ، ثم جاءت بعد ذلك والدتها لترحب بى :

ـ كيف حالك يا دكتور ؟

ـ بأحسن حال يا حاجة .

لم أتوقع مثل هذه المقابلة .. وبخاصة أن اللقاء السابق مازال فى ذاكرتى .. لم أنسه .

ما الذى حدث ؟ هل زال التأثير فجأة .. قلت للحاجة :

ـ كيف حالك أنت ؟

ـ بخير يا ولدى .

هل ما يحدث طبيعى ؟ المفترض ذلك .. ولكنى لم أتوقعه لذا أراه غير طبيعى .

عادت أميرتى حاملة صينية عليها ثلاثة أكواب من عصير البرتقال ووضعتها على المنضدة وجلست .. ولكنها لم تجلس بالقرب منى كعادتها .. جلست مبتعدة على نحو ما .. أعتقد أن هناك شيئًا ما .. خاصة أننى رأيت والدتها تمسك بأحد الكتب وتشرع فى قراءته .. وهذه لم تكن إحدى عاداتها أثناء وجودى معهما .. على أى حال قلت :

ـ لقد أحضرت معى الدليل يا (نادين) .

نظرت لى متعجبة ، وقالت :

ـ أى دليل ؟

ـ دليل على أنى د. (ياسين العوضى) .

لم تقل شيئًا سوى :

ـ تفضل .. البرتقال .

أخرجت بطاقتى وأريتها لها ، وقلت :

ـ انظرى .. ما هو الاسم المدون عندك بجوار صورتى .. أليس (ياسين العوضى) ؟

نظرت إلى البطاقة ، ثم نظرت إلىّ مندهشة ، ثم عادت تنظر إلى البطاقة ، وقالت :

ـ معك حق .

ـ حسنًا .. هل تأكدت الآن أننى د. (ياسين العوضى) ؟

ـ ومن قال غير هذا ؟

يبدو أن التأثير قد زال .. أتمنى أن يحدث ذلك للجميع .. قلت لها :

ـ أنت .

ـ ماذا ؟

ـ بالأمس واليوم .. كنت لا تعرفيننى بالمرة وقلت لى أشياء ما زلت غاضبًا من سماعها حتى الآن .

ـ كنت أمزح معك .. تفضل البرتقال .

ـ تمزحين .. إذن أنت تتذكرين جيدًا ما حدث بالأمس واليوم .

ـ نعم .

ـ وتقولين إنه كان مزاحًا .. هل هذا هو حقيقة ما حدث ؟

لمحت نظرات غضب تطل من عينى ، فتراجعت قائلة :

ـ نعم .. ألا يحق للفتاة أن تمزح مع خطيبها ؟

ـ تمزحين .. حسنًا .. وماذا عن الآخرين ؟

ـ تقصد من ؟

ـ الجيران .. البواب .. الممرض .. د. (مجدى) .. المرضى .. وحارس البوابة .. كل هؤلاء لم يعرفونى بالأمس .

ـ أأ .. اشتركنا جميعًا فى هذه المزحة .. تفضل البرتقال .

ـ لماذا ؟

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أقصد .. لماذا اشتركتم جميعكم فى وقت واحد من أجل هذا المقلب .. لماذا فعلتم ذلك ؟

صمتت قليلاً ، ثم قالت :

ـ كنا نريد إثبات نظرية قمت أنت بإنكارها يومًا ما .

ـ نظرية ؟؟

ـ نعم .

توقفت للحظة ، ثم تابعت قائلة :

ـ لقد أجمعنا فى يوم ما على أن الجنون قد يحدث بسبب المجتمع الذى يعيش فيه الفرد والمؤثرات الخارجية التى تحيط به .. وهذا يعنى أننا باستطاعتنا دفع شخص إلى الجنون بإرادتنا .. حتى لو كان هذا الشخص يتمتع بعقلية جبارة .. ولكنك يومها اعترضت بشدة على هذه النظرية .

ـ وهكذا أردتم إثبات نظريتكم لى بتجربتها علىّ .. حسنًا .. كدتم تدفعوننى للجنون بالفعل .. أنت تربحون .

قلت ذلك برغم كونى لا أتذكر هذه النظرية ولا أتذكر اعتراضى عليها .. يكفينى أن كل هذا كان مزاحًا .. مزاحًا من النوع الثقيل .. والذى لا يمكن كشفه .. قلت لها :

ـ أيعنى هذا أن كل ما حدث خلال هذين اليومين كان مزاحًا ؟

ـ نعم .

ـ أتعرفين أن هذا المزاح قد جعلنى أقضى ليلة من عمرى فى السجن ؟

انزعجت بشدة وتراجعت للوراء ، وسألت بقلق :

ـ هل قضيت ليلة فى السجن ؟

ـ نعم .. لأنه لم يكن لدى ما يثبت هويتى حينها .. أما اليوم فقد وجدت الـ ... آه .. فهمت .. أنتم الذين أعدتم لى اليوم ما سلبتموه منى .. أيعنى هذا أنكم قررتم إيقاف المزاح ؟

ـ نعم .. تفضل البرتقال .. عن إذنك .

ثم نهضت واختفت فى الداخل .. لا أعرف لماذا أشعر بأن هناك شيئًا مريبًا وموضوع المزاح هذا .. لست مقتنعًا به .. وإصرارها الزائد عن الحد بشرب عصير البرتقال لا ينم عن حسن ضيافتها ولكن يثير فى نفسى الشكوك .. لا أعلم .. يبدو أننى تأثرت بالسيدة (منيرة) .. هل من الممكن .. عصير البرتقال .. ربما .. لِمَ لا ؟

ثم تذكرت كلماتها .

* * *

ـ لا .. الأمر أبسط من ذلك .. أنا أجربها على جيرانى .. المهم الآن .. هو أن ثقتى فى الآخرين ازدادت .. لأن القطة ما زالت تعيش .. والكلب أيضًا وكذلك جيرانى .. ومن يدرى .. ربما أتخلص من (البارانويا) تمامًا فى يوم من الأيام .

* * *

لِمَ لا أفعل مثلها ؟ لن أجربه على الجيران طبعًا ولا يوجد قط أو كلب هنا .

سأجربه على حماتى .. قد تبدو فكرة سيئة ولكن لا يوجد أمامى غيرها ..

لو أن (نادين) وضعت شيئًا لى فى العصير فسيظهر التأثير على أمها .. وليكن ما يكون .. وليحدث لها مادبرته ابنتها لى .. أما لو أن العصير طبيعى لا غبار عليه وكل الأمور على ما يرام فلن يحدث شىء وسأنتزع كل الشكوك التى تؤلم تفكيرى .

* * *

ـ *لقد أبدلت الأطباق معك يا دكتور .*

* * *

قمت بتبديل الأكواب .. ولم تلمحنى حماتى فقد كانت منهمكة فى قراءة الكتاب الذى بين يديها .. لا أعلم هل تقرؤه حقًا أم أنها تستخدمه لإبعاد نظرها عنى .. أو إبعاد نظرى عنها .

* * *

ـ « تفضل .. البرتقال . »

ـ « كنت أمزح معك .. تفضل البرتقال . »

ـ « آآ .. اشتركنا جميعًا فى هذا المزحة .. تفضل البرتقال . »

ـ « نعم .. تفضل البرتقال .. عن إذنك . »

* * *

ـ « يا حاجة .. تفضلى . »

قلتها وأنا أمد لها يدى بكوب البرتقال .. أمسكته منى بيد مرتجة .. يمكننى ملاحظة ذلك .

ـ شكرًا يا ولدى .

تُرى هل أقدم لها السم الآن ؟ هل أقتلها الآن ؟ ولكنى لم أعد العصير .. أنا برىء من ذلك .. لو أن ابنتها دبرت لى الموت فإنها تستحق ما فعلته من عقاب .. ستجد أمها ميتة بعد قليل .. ما هذه الأفكار السوداء ؟ لن يموت أحد .. لن يحدث شىء ..

شرعت الحاجة فى شرب العصير وأنا أتأملها جيدًا .. أنا متأكد أن (نادين) وضعت الصينية بحيث أشرب من هذا الكوب وقد رفعته أكثر من مرة لتحثنى على الشرب منه .. وهذا يعنى أن ما حدث لوالدتها الآن كان سيحدث لى .

سقط الكوب من يدها وفرغ تمامًا مما فيه ..

نظرت إليها .. كانت ساكنة تمامًا .. وكأنها جثة هامدة .

* * *

14 ـ عملية إحلال ..

نفس اليوم .. الساعة : الثامنة إلا الربع مساءً ..

كانت حماتى لاتزال على قيد الحياة .. ولكن ما الذى حدث لها ؟ وهل كان العصير السبب فى ذلك ؟ إن هذا يعنى أن شكوكى كانت فى محلها .. وأنى تصرفت بطريقة جيدة .. ولكن لم فعلت (نادين) ذلك ؟ ما الذى كانت تخطط له ؟

وأين هى الآن ؟

تحركت ببطء شديد وتتبعت صوت (نادين) .. كانت فى غرفتها تتحدث .. لابد أنها تتحدث عبر التليفون .. ولكن إلى من ؟ ألصقت أذنى بالباب ، وسمعت صوتها واضحًا يقول :

ـ نعم .. إنه هنا الآن .. يجلس فى الصالة .

إنها تتحدث عنى إلى شخص ما .. ترى من هو هذا الشخص ؟

ـ لقد فعلت ما طلبته منى .. نعم .. فى عصير البرتقال .. متى ستأتى ؟ أنا قلقة جدًا .. أرجوك .. بسرعة .. وماذا لو أنه حاول الهروب ؟ ربما لم يشربه .. لا أعرف .. لقد تركته وأتيت لأحدثك .. ربما يكون قد شربه .. سأحاول .. ولكن ماذا لو لم يشربه ؟ ربما يشك فى الأمر .. حسنًا .. ماذا أفعل حينها ؟ مع والدتى فى الصالة .. نعم سأحاول .. أتمنى ذلك .. إلى اللقاء .

انتهى حديثها فعدت بسرعة إلى مكانى فى الصالة وانتظرت .

عادت (نادين) من الداخل ونظرت نحوى فابتسمت ابتسامة مصطنعة ، ثم نظرت إلى أمها فشهقت مذعورة ، وقالت :

ـ ما الذى فعلته بها يا مجرم ؟

ـ أنا لم أفعل شيئًا .. فقط أبدلت الأكواب .

وضعت رأس أمها على صدرها وربتت على رأسها ، وقالت :

ـ أنا آسفة يا أمى .. لقد أخطأت عندما تركتك مع هذا المجرم .

ـ هل لى أن أعرف ما الذى وضعته فى كوب العصير ؟

ـ منوم .

ـ لماذا ؟

لم ترد .. يبدو أنها مازالت تحت التأثير .. لا ألومها .. ولكن (نادين) لم تعد أميرتى .. هناك شروخ كثيرة حدثت فى جدران علاقتنا لا يمكن ترميمها بسهولة .. سألتها :

ـ من الذى أمرك بذلك ؟ من الذى كنت تحادثينه هاتفيًا الآن ؟ من الذى أمرك بقتلى ؟

ـ لم أفكر فى قتلك .

ـ حسنًا .. ما الذى كنت ستفعلينه بعد تنويمى .. سرقتى مثلاً ؟

ـ لا .

ـ ماذا إذن ؟

ـ كنا سندخلك مستشفى الأمراض العقلية .

ـ لماذا ؟ ما الذى فعلته لك ؟ لماذا تفكرين فى التخلص منى .. لو أنك وجدت خطيبًا أفضل منى كان يمكنك إخبارى بذلك .. لو أن حبك الوحيد عاد من السفر فجأة بعد فقدان الأمل فى ذلك .. كانت هناك ألف طريقة لعرض الأمر علىّ .. لو أنك لم تعودى تريدينني خطيبًا لك لأى سبب ما .. كان يمكننا مناقشة الأمر والوصول إلى حل .. لو أن بى عيبًا خطيرًا ظهر لك فجأة كان يمكنك إخبارى فأحاول إصلاحه ، أو شعرت بعدم ارتياح تجاهى كان يمكنك ..

قاطعتنى صائحة :

ـ كفى .. توقف .. إن المسألة ليست كذلك .. أنت لست خطيبى أصلاً .. أنت لست د. (ياسين العوضى) .

ـ ألم تنظرى إلى البطاقة ؟ هل تحبين الاطلاع على جواز السفر ؟ الغريب فى الأمر أنك منذ قليل أخبرتنى أن الأمر كان مجرد مزاح .

ـ كانت خدعة .

ـ خدعة .. وأنا اعتقدت أنها حقيقة ما حدث .. رغم عدم منطقية الفكرة ولكنى كنت أقنع نفسى بها .. حسنًا .. أعتقد أننى لم أعد مرغوبًا هنا الآن .

سمعت (نادين) جملتى فتركت أمها بهدوء ، ثم نهضت قائلة :

ـ لن تخرج من هنا .

ـ ماذا ؟

وقفت أمام الباب ورفعت ذراعيها لأعلى بعرض الباب ، وقالت :

ـ لن تخرج من هنا حتى يأتى ...

ـ من ؟ من الذى سيأتى ؟ الذى كنت تحادثينه هاتفيًا .. أليس كذلك ؟

ـ نعم .. إنه خطيبى د. (ياسين العوضى) .. وهو الذى سيدخلك المستشفى يا مجنون .

الآن .. اتضحت الأمور لى .. إنها مسألة إحلال .

من يصدق ؟ لقد فعلها بالطريقة الصعبة .

هناك شخص ما .. يريد أن يحل محلى .. يعيش حياتى .. يستخدم هويتى .. وللقيام بذلك لابد من تزوير عشرات المستندات والشهادات وسيفلح الأمر ولكن هناك عائقان .. أنا والناس الذين يعرفوننى .. لن تنجح عملية الإحلال فى وجود هذين العائقين .. فماذا يفعل ؟ طبعًا لن يقتل كل الذين يعرفوننى فهم عشرات بل مئات .. إذن ما الحل ؟ كان التنويم المغناطيسى ! قرر أن يمحوَ هويتى من

كل الذين أتعامل معهم .. ثم بعد ذلك يضع نفسه فى ذاكرتهم بدلاً منى ويبدو أنه قد نفذ هاتين الخطوتين بدقة .. بقيت مسألة التخلص منى .. إنها أسهل خطوة فى العملية .. فقد أجن بعد اكتشافى أن الجميع لا يتذكروننى ولا يعرفون عنى شيئًا بالمرة .. وهنا يظهر الحل الأمثل لحالتى وهو إيداعى مستشفى الأمراض العقلية .. وقد لا أجن .. ولكن إصرارى الدائم على أننى د. (ياسين العوضى) سيدفعهم إلى الاعتقاد بأننى مجنون حيث يعرف الجميع د. (ياسين) حق المعرفة حسب ما زُرع فى عقولهم .

من هو هذا الشخص ؟ ربما سجين هارب .. ربما جاسوس .. ربما رجل بلا هوية أتى من خارج مصر .. أو رجل بلا هوية من داخل مصر يريد أن يحظى بمكانة فى المجتمع .. أو ربما شخص يريد أن يحل محلى وفقط .

لماذا أنا ؟ هل يطمع فى خطيبتى ؟ أعلم جيدًا أنها أجمل نساء الكون ، ولكن لا يستحق الأمر كل هذا العناء والتخطيط .. فهناك عشرات الطرق البسيطة لإفساد العلاقة بين شاب وخطيبته ، ثم التقدم لها بعد ذلك ..

ربما يطمع فى مهنتى كطبيب نفسى .. لا أعتقد أنها مهنة مرغوبة إلى هذا الحد .. من يدرى ؟ وربما أراد تجربة التنويم المغناطيسى فقط .. ولم يجد أصلح منى لهذه التجربة .. محتمل .

لو أننى انتظرت فى هذا المكان قليلاً سوف أراه .. ولكن .. من يدرى ما الذى سوف يفعله بى وقتها ؟ لقد محانى من ذاكرة الذين يعرفوننى .. لا أستبعد أن يمحو ذاكرتى نفسها وهكذا سيريح نفسه منى إلى الأبد .. لكنى لن أستسلم بهذه السهولة .. سأنسحب من هذه الجولة الآن لأنتصر فيما بعد فى نهاية المعركة .. لأنى إذا قابلته الآن سيجعلنى رجلاً بلا هوية وبلا ذاكرة .. ولن يستطيع أحد مساعدتى حينها .. أما إذا ظللت بعيدًا سوف أساعد الآخرين ليستعيدوا ذاكرتهم وأجهز نفسى للحرب ضده .. بالاستعانة بذلك الطبيب النفسى .

لذا علىَ الرحيل الآن .. حتى لو اعترضنى ألف رجل .

أزحت (نادين) عن طريقى ولكنها قاومت .. ولما لم تجد فائدة مما تفعله صاحت :

- عم (عويس) .. عم (عويس) .

إنها تستنجد بالبواب .. وتجذب ذراعى لتمنعنى من الخروج ولكنها مسألة حياة أو موت .. لو ظللت هنا قليلاً قد أفقد هويتى إلى الأبد ولن أعلم بذلك .. يا له من مصير !

وطالما أنها مسألة حياة أو موت .. دخلت المطبخ بسرعة باحثًا عن سكين .. أعتقد أنها ستصلح سلاحًا جيدًا للتهديد .. خرجت من المطبخ ملوحًا بها و ...

ـ إياك أن تقتربى منى يا (نادين) .

تراجعت (نادين) على الفور .. فاتجهت إلى الباب بسرعة وفتحته لأنطلق نحو الحرية والأمل ولكنى فوجئت بالبواب أمامى مباشرة .. كان مستعدًا لاعتراضى ..

ـ عم (عويس) .. حتى أنت لاتتذكرنى .. حسنًا .. لاتعترض طريقى أرجوك .. إن المسألة حرجة ولن يكفى الوقت لشرحها لذا .. ابتعد أرجوك .

جاء صوت (نادين) من الداخل ..

ـ لا تتركه يا عم (عويس) .. إنه لص .

فجذبنى عم (عويس) من أكمام القميص فلوحت بالسكين فى وجهه فتراجع قليلاً ، ثم هاجم من جديد فلوحت بالسكين مرة أخرى فحاول الحصول عليها منى .. هنا شعرت أن السكين اصطدم بشىء ما ورأيت بعدها السائل الأحمر ينساب على الأرض .

* * *

15 ـ الجلسة الأولى ..

لم أقصد أن أطعنه .. كنت ممسكًا بالسكين واندفع هو نحوى .. فاخترقت السكين جسده .. ولكنى فحصته على الفور .. سوف يعيش .. أنا متأكد من ذلك .. أنا طبيب .

وانطلقت خارجًا قبل وصول أحد .. أى أحد آخر .. وفى خلال ثوان كنت مستقلاً سيارتى نحو ذلك الطبيب النفسى الخبير بالتنويم المغناطيسى .

بطاقتى .. جواز سفرى .. بقية الـ ... أخ .. لقد نسيتهم عند خطيبتى .. ولن أستطيع العودة إلى هناك فى الوقت الحالى على الأقل .

وأمام العيادة قرأت اللافتة :

د. صقر الشاذلى .. استشارى الطب النفسى وخبير بالتنويم المغناطيسى

تأملت العيادة .. عيادتى أفضل بالتأكيد .. لايوجد مرضى منتظرون .. لا أريد أن أحسد نفسى .. تقدمت نحو ذلك الشخص الجالس خلف مكتبه فى الصالة .. إنه مثل (وائل) .. حتى إنه يشبهه .. سألته :

ـ هل يمكننى أن أقابل الدكتور الآن ؟

نظر فى الدفتر الموضوع أمامه على المكتب ، ثم قال :

ـ انتظر عشر دقائق .. لو لم يأتِ مريض الثامنة خلال هذه المدة يمكنك الدخول بعدها .

نظرت فى ساعتى .. إنها الثامنة والثلث ، فقلت :

ـ إن مريض الثامنة كان يجب أن يأتى فى الثامنة .. ولقد مضت عشرون دقيقة على ذلك .

ـ هذا هو نظام عيادتنا .. يمكننا انتظار المريض حتى نصف ساعة بعد موعده ..

ليست عيادتى حتى أضع لها النظام لذا استسلمت وجلست منتظرًا ودعوت الله ألا يأتى مريض الثامنة ، ولقد استجاب الله لدعائى .

* * *

الجلسة الأولى ..

نفس اليوم .. الساعة ؛ الثامنة والنصف مساءً ..

يا إلهى .. جلسة علاج .. لست أنا الطبيب فيها .. ستكون الجلسة الأولى والأخيرة .

د. (صقر الشاذلى) .. فى الأربعينات من عمره .. طويل نحيف .. وجهه يشبه المثلث .. له شارب رفيع .. يرتدى نظارة فوق عينين خضراوين .. لا يوجد فيه شىء مميز آخر يستحق الذكر .. قال لى وهو يعدل من وضع نظارته :

ـ استرخ على (الشيزلونج) .. الاسترخاء يعطى الصفاء الذهنى اللازم .

استرخيت على (الشيزلونج) .. شعرت بإحساس غريب يجتاحنى عندما سمعت هذه الجملة ؛ فلأول مرة أسمعها من شخص آخر بعد أن اعتدت قولها لقرون .. سألنى :

ـ مم تشتكى ؟

نفس السؤال التقليدى .. حسنًا .. إنها فرصة جيدة لأعرف كيف يتعامل الأطباء الآخرون مع المرضى .. كيف يتصرف الأطباء زملاء المهنة فى عياداتهم .

كيف أشرح له الموضوع ؟ هل أخبره أننى طبيب نفسى مثله ؟ أعتقد أن هذا فوق احتماله .. كيف أشرح له مشكلتى المعقدة ؟ لم أجد شيئًا أبدأ به حديثى سوى :

ـ أنا حالة خاصة جدًا يا دكتور .

ما هذا الذى قلته ؟ ألم أجد جملة أخرى ؟ قال لى بهدوء :

ـ هذه الجملة سمعتها من عشرات قبلك .. أرجوك .. تحدث عن مشكلتك على الفور .

يبدو أن هذا لا يحدث معى فقط .. قلت له مؤكدًا :

ـ ولكنى بالفعل حالة خاصة يا دكتور .. أنا لست مريضًا .

ـ أصدقك يا بنى .

ـ شكرًا .. ولكنك لست كبيرًا إلى هذا الحد .

ابتسم فى هدوء وعدل من وضع نظارته للمرة العشرين ، ثم أمسك بدفتر صغير فى يده اليسرى وبقلم فى اليد الأخرى ، وقال :

ـ حسنًا .. ما الذى دفعك إلى المجىء إلى هنا ؟ من الذى جعلك تشعر بأنك فى احتياج إلى طبيب نفسى ؟!

ـ وهل ترانى مريضًا نفسيًا ؟

ونهضت غاضبًا ، فقال لى بهدوء :

ـ أعنى .. مم تشتكى بالضبط ؟

عدت للجلوس ، وقلت بنبرة غاضبة ساخطة :

ـ الآخرون .. جميعهم .

ـ ومن هم الآخرون فى نظرك ؟

ـ الجيران .

ـ فقط .

ـ (وائل) وجميع الممرضين .

ـ ماذا ؟

ـ د. (مجدى) أيضًا ، وجميع الأطباء قد يكونون مثله .

ـ لحظة .. هل تعنى أننى ضمن هذه القائمة السوداء ؟ لاتنس أننى طبيب .

ـ بالتأكيد لا يا دكتور .. لا أستطيع أن أشك فيك لأنك ببساطة لم تعرفنى قبل اليوم ولاتعلم شيئًا عنى حتى الآن .. وهذا يعنى ..

وصمتُ لثوان .. فقال الطبيب متعجبًا :

ـ لماذا توقفت ؟ أكمل .. وهذا يعنى ..

ـ وهذا يعنى أن هذه الثقة مؤقتة .. فربما يصل إليك أنت أيضًا ويضعك تحت تأثيره وقد يحرضك على قتلى .. ودون أن تدرى سوف تنفذ .. ولكن تأكد أنى سأعلم بذلك عند حدوثه .. وستزول الثقة ويحل محلها الشك وسأكون مستعدًا لأى مفاجآت .

أشعر أن هذا الموقف قد حدث من قبل .

* * *

قال لى الطبيب ساخرًا :

ـ إن حالتك خاصة بالفعل .

ـ أنا لا أمزح .. ولست مريضًا يا دكتور .

ـ أعلم .. أعلم .. أنا أعرف كل ما ستقوله فلا ترهق نفسك .

ـ هل تعتقد أننى مـ ...

قاطعنى قائلاً بلهجة حكماء الدهر :

ـ بارانويا .

ـ ماذا ؟

ـ أنت تعانى من جنون الاضطهاد .

صحت بغضب قائلاً :

ـ أنا أعلم جيدًا ما هى البارانويا .. ولكن .. هل تفسر كل مايحدث لى على أنه (بارانويا) ؟ هل تعتقد أننى أتوهم أن الجميع يكرهوننى ؟

ـ لا .. ليس بالمعنى الذى ذكرته ولكن ..

ـ ولكن .. ماذا ؟ كنت أعتقد أنك ستكون أفطن من ذلك يا دكتور .. أنا لست مثل المرضى الذين يأتون إليك .. أنا لا أتوهم شيئًا .. إن الجميع ضدى بالفعل .. كلهم تحت سيطرته ولو أنه طلب منهم قتلى فسوف ينفذون على الفور .. المشكلة هى أننى لست مستعدًا لهذه المواجهة وأخشى أن أقع تحت سيطرته أيضًا فيمحو لى ذاكرتى وكل شىء .. وستكون هذه هى الطامة الكبرى لأنى لن أستطيع مساعدة نفسى وقتها .

شرد قليلاً ، ثم قال بهدوء :

ـ نظرية المؤامرة .

ـ ماذا ؟

ـ أنت ترى أن الجميع اشتركوا فى تنفيذ مؤامرة للنيل منك .

ـ مؤامرة .. ربما .. ولكنهم لم يشتركوا فيها بمحض إرادتهم .. إنهم للأسف واقعون تحت السيطرة .. لقد وضعت خطيبتى المنوم فى كوب العصير وأعطته لى .. هل تصدق ذلك .. أما صديقى فقد أراد إدخالى مستشفى الأمراض العقلية .. أما (وائل) فقد رفع المكنسة فى وجهى .. لا أعرف ما الذى سيفعلونه المرة القادمة ..

ـ أتعلم يا أستاذ (أحمد) .. إن مايلزمك هو زيادة الثقة بالآخرين .. سوف تزول بعدها كل مخاوفك .. ستكتشف أن الحياة أجمل من ذلك بكثير .. ستعرف أن هناك خيرًا فى هذه الدنيا .. ستجد أن بيننا أكثر أمانًا مما تعتقد .. ستتأكد بنفسك أن جميع من حولك يريدون لك الخير .

صحت بكل الغضب الذى أمتلكه :

ـ أولاً : أنا لست مصابًا بـ (البارانويا) .. ثانيًا : اسمى ليس (أحمد) .

ـ ماذا ؟ لكن الممرض أخبرنى أن ... آه .. فهمت .. لقد تخطيت دورك ودخلت بدلاً من (أحمد) .

ـ لا .. أنا الذى أخبرت الممرض أن اسمى (أحمد) ولكنى لست (أحمد) .

ـ هل لى أن أعرف لماذا فعلت ذلك ؟

ـ لم أكن أريد أن يعرف أحد أنى أتيت لك ؟

ضحك الطبيب قائلاً :

ـ وتقول إنك لست مصابًا بالبارانويا .

ـ يا دكتور .. إن الأمر لا يحتمل المزاح .. أنا على حق فى شكوكى نحو الآخرين .. وإن كنت لست مستعدًا لتصديقى فسوف انصرف الآن .

ـ حسنًا .. استرخِ تمامًا وقل كل ما لديك وكلى آذان مصغية وسأحاول تصديقك .

ـ هذا أفضل بكثير ..

وهكذا بدأت أول جلسة لى كمريض وستكون الأخيرة .. لأننى لن أقبل بوضع المريض النفسى هذا .. أنا طبيب وسأظل كذلك إن شاء الله .

* * *

عدل د. (صقر) من وضع نظارته للمرة الرابعة والسبعين ، ثم قال :

ـ لم أرد أن أقاطعك طوال حديثك .

ـ خيرًا فعلت .

ـ حسنًا .. تقول إنك طبيب نفسى .

ـ نعم .

ابتسم ابتسامة جانبية .. هل هى ابتسامة سخرية أم ...؟! ثم قال :

ـ إذن .. أنت زميل مهنة .

ـ بالتأكيد .

ـ حسنًا .. لو أنك طبيب نفسى سوف تفهم ما أقوله جيدًا وسوف تناقشنى فيه بطريقة عملية .. هل تؤيدنى فى هذا الرأى ؟

ـ كل ما تقوله جيد .. أكمل .

ـ هناك نظرية عن تناسخ الأرواح ربما تفسر حالتك .. ولكنى أرفض هذه النظرية مبدئيًا .. ولا داعى للخوض فى مسألة الأرواح .

ـ أوافقك الرأى .

ـ هناك أيضًا احتمال (البارانويا) .. تقبل ما أقوله أو ناقشنى فيه .. لماذا لا نفترض أنك تأثرت بما قالته لك مريضتك فى ذلك الصباح ؟ انتقلت مشاعرها إليك .. لقد ذكرت لى أن كل شىء تغير فى نفس اليوم الذى قابلتها فيه .. ألا ترى أن هناك ارتباطًا بين الحدثين ؟

ـ أتعنى أن عدوى الاضطهاد انتقلت لى ؟

ـ أقول إن هذا احتمال .

ـ إن معنى حديثك هو أننى أتوهم كل ما حدث لى بعد جلستها .. تأثرت بما سمعته فأصبحت أتخيل أشياء .. بمعنى أدق .. هلاوس .

ـ لا أقصد إهانتك .. لقد اتفقنا من البداية أن نناقش الاحتمالات بطريقة عملية .

ـ طريقة عملية ! أنا معك فى ذلك .. ولهذا أقول لك إننى لم أتأثر بها .. والدليل على ذلك أن موقف (وائل) العدائى معى حدث قبل جلستى معها .. وطبعًا لن أتأثر بها قبل أن أقابلها .

ـ تقول إنها لم تكن مسجلة فى دفتر المرضى .. ألا يعنى هذا شيئًا ؟

ـ ما الذى تقصده ؟

ـ أقصد أنك قابلتها فى اليوم السابق لموقف (وائل) ولهذا لم تجد اسمها فى هذا اليوم .. وربما لو بحثت فى دفتر المرضى عن الذين ...

قاطعته قائلاً :

ـ ولِمَ لا تقول إننى لم أقابلها أصلاً ؟ ولِمَ لا تقول إن (وائل) لا يسجل المرضى عادة ؟ ولِمَ لا تقول إن ليس عندى ممرض اسمه (وائل) ؟ ولِمَ لا تقول إننى لا أمتلك عيادة ؟

ـ لا تغضب منى .. أنا أفترض فقط .

ـ حسنًا .. لِمَ لا نفترض أنك لست طبيبًا نفسيًا اسمه د. (صقر) ؟ لِمَ لا نفترض أننا لا نجلس سويًا ؟ لِمَ لا نفترض أنك فى بيتك الآن وأنا فى عيادتى هناك أستمع إلى مريض يعانى من الاكتئاب ؟ ولِمَ لا نفترض أننى نائم فى بيتى أحلم ؟ وربما كل هذا حلم سأستيقظ منه فى أى لحظة .

ـ حسنًا .. يبدو أنك قد غضبت من ...

قاطعته قائلاً :

ـ يا دكتور .. إن المسألة واضحة لا تحتاج إلى فرض احتمالات .. أنت بهذا تضيع وقتى ووقتك .. كالضابط الذى يسأل المجرم بعد اعترافه بجريمته قائلاً : تُرى من القاتل ؟

ـ ربما .. لم يقتله ويتوهم ذلك .. ربما أجبره أحد على الاعتراف .

ـ فيم تتحدث يا دكتور .. هل أنت محاميه ؟

ـ لا .. ولكن المثال ..

ـ دعنا منه .. لنعد إلى موضوعنا .. إن ما أعنيه باختصار هو أن كل ما أقوله قد حدث فدعك من احتمال الهلاوس .. هناك شخص يريد أن يحتل مكانى .. واستخدم فى ذلك التنويم المغناطيسى .. محا هويتى من ذاكرة الذين يعرفوننى وربما وضع نفسه مكانها .. ببساطة .. عملية إحلال .. ولهذا قد أتيت لك .. لأسألك .. هل هذا ممكن ؟

ـ إذن فقد أتيت لى من أجل خبرتى بالتنويم المغناطيسى فقط .

ـ بالضبط .. وهذا ما أردت توضيحه منذ سنوات .

ـ حسنًا .. احتمال التنويم المغناطيسى احتمال جيد .

ـ عدنا مرة أخرى إلى الاحتمالات .. دكتور .. هل تجد صعوبة فى تصديقى ؟

ـ لو افترضنا أننى أصدقك .. هذا لا يعنى بالضرورة أن أصدق نظرية التنويم المغناطيسى .

ـ ما الذى تعنيه ؟

ـ أعنى أن نظرية التنويم المغناطيسى قد تكون تفسيرًا جيدًا لما حدث .. ولكن هناك احتمالات أخرى .

ـ ربما ولكنى مازلت أراها التفسير المنطقى الوحيد حتى الآن ..

وطالما أنك ذكرت أنها تفسير جيد فإنك بهذا قد أجبت على السؤال (هل هذا ممكن ؟) السؤال الآن هو :

هل يمكن بالتنويم المغناطيسى علاج ما حدث ؟ مثلاً .. إعادة ذاكرتهم إلى ماكانت عليه .. مثلاً عملية تنويم عكسية للعملية السابقة .

لم يجب سؤالى بل شرد قليلاً ، ثم قال :

ـ هل استطعت تخمين الفاعل ؟

ـ لا .. ولكنى دونت بعض الملاحظات التى قد توصلنى إليه .

ـ تقول إنك تتلقى مكالمات غامضة منذ اليوم الذى بدأ فيه كل شىء .

ـ نعم .

ـ تقول إنك فى المكالمة الأولى سمعت صوتًا أنثويًا .

ـ نعم .

ـ تقول إنك رأيت السيدة التى تعانى من البارانويا .. ماذا كان اسمها ؟

ـ (منيرة) .

ـ حسنًا .. تقول إنك رأيت السيدة (منيرة) لأول مرة فى ذلك اليوم ، ثم قابلتها فى اليوم التالى مصادفة .. ورفضت أن تخبرك بمكان إقامتها .

ـ نعم .. ما الذى تلمّح إليه ؟

ابتسم ابتسامة غامضة ، ثم قال :

ـ إن المجرم دائمًا يريد الاطمئنان على ضحيته .

ـ أتقصد ..

ـ نعم .. هناك احتمال أن السيدة (منيرة) لاتعانى من (البارانويا) وقد جاءت إليك العيادة لكى تتعرف على ضحيتها .. ولا تنس أن معها بدأ كل شىء .

احتمال جديد .. ولكنه غير منطقى ؛ لذا قلت :

ـ لا مجال للارتباط الشرطى هنا .. ولو أن هذا الاستنتاج صحيح فإن ذلك يعنى أنك شريكها لأنها من أرشدتنى إليك .. مارأيك الآن ؟

ضحك د. (صقر) قائلاً بخبث :

ـ كل شىء محتمل .. ربما أكون شريكها بالفعل وربما أنا من أمرتها بالتعرف عليك .

لم أسترح لضحكاته .. ثم فوجئت به يقول فى غموض :

ـ هناك احتمال آخر ، أخشى أن تقتلنى إذا تفوهت به .

* * *

16 ـ احتمالات ونظريات ومفاجآت ..

نفس الجلسة .. الساعة : التاسعة والربع مساءً ..

سألت د. (صقر) بفضول :

ـ وما هو هذا الاحتمال ؟

رد بكل هدوء لديه :

ـ هذا الاحتمال قد لا يعجبك .. ولكنه فى النهاية احتمال .

ـ أخبرنى به يا دكتور قبل أن ينفد مخزونى من الصبر .

ـ حسنًا .. ربما يوجد تنويم مغناطيسى فى الموضوع و ...

قاطعته ساخرًا :

ـ وهل هذا هو الاحتمال الجديد ؟ أنت عبقرى بالفعل يادكتور .. كيف توصلت إليه ؟

لم يغضب من مقاطعتى له بل ضحك على جملتى الساخرة ، ثم قال بهدوء :

ـ لم أكمل جملتى بعد .. إن ما أردت قوله هو أن هناك احتمالاً أن ما حدث هو عكس ما تصورته أنت .

ـ لم أفهم .. هل هناك ترجمة عربية لما قلته ؟

ـ كف عن تعليقاتك الساخرة ، واسمعنى جيدًا .

صمتُ .. ربما أستطيع فهم نظريته الجديدة .. حيث تابع قائلاً :

ـ قد يكون هناك تنويم مغناطيسى .. ولكن عكس نظريتك .. إنك تخمن أن هناك شخصًا استخدم التنويم المغناطيسى فى محو هويتك من ذاكرة كل الذين يعرفونك وربما وضع نفسه هو مكانك .. لماذا لم تفكر فى احتمال وجود شخص استخدم التنويم المغناطيسى فى محو هويتك من ذاكرتك ووضع شخصية أخرى فى عقلك ؟

ـ لو أن فهمى سليم فإنك تعنى أن الجميع على صواب ولم يحدث لهم أى شىء .. إن المصاب فعلاً هو أنا .. أنا الذى تعرضت لتجربة تنويم مغناطيسى محوا فيها هويتى وشخصيتى ، ثم زرعوا مكانها أحداث وذكريات لشخصية أخرى .. فجعلونى أستيقظ من هذه التجربة معتقدًا أننى تلك الشخصية .

ـ بالضبط .. ما أقصده هو أنك (س) من الناس تعرضت لتجربة مُحى لك فيها كل ما يتعلق بـ (س) ثم وضعوا مكانها (ص) .. ثم تركوك .. عندما استيقظت عشت حياة (ص) ثم ذهبت إلى الذين يعرفون (ص) فلم تجد أحدًا منهم يعرفك هذا لأنك لست (ص) .. وطبعًا .. لم يعجبك موقفهم منك فاعتقدت أن هناك من محا (ص) من عقولهم وربما وضع (ع) ليحل محلك .

ـ هل هذا ما تعتقده يا دكتور ؟

ـ أقول إن هذا احتمال .. ويجب أن تدرك أن نظريتى أكثر منطقية عن نظريتك .

ـ كيف ؟

ـ أنا أقول إن التنويم المغناطيسى قد أثر على شخص واحد .. هو أنت .. أما نظريتك تعنى أن التنويم حدث لعشرات .. وربما مئات .. ما رأيك الآن ؟

ـ طبعًا .. نظرية خاطئة .

ـ لقد ذكرت منذ البداية أنها قد لا تعجبك .

ـ بالتأكيد لن تعجبنى .. إنها تعنى أننى نسيت من أنا وأننى أتوهم نفسى شخصًا آخر .

ـ لم أعنِ التوهم .. أعنى أنك فقط مازلت تحت تأثير هذه التجربة .

ـ دعك من هذه النظرية السخيفة .. أنا أعرف نفسى جيدًا .. أنا لم أولد منذ يومين .. وهناك شىء آخر لم تنتبه إليه فى نظريتك .. وهو الدافع .. فعملية كهذه لابد أن يكون لها دافع .. بالنسبة لنظريتى أعتقد أن الدافع هو الإحلال .. هناك شخص يريد أن يحل محلى .. هل يمكنك أن تخبرنى ما هو الدافع فى نظريتك ؟ ما الذى يمكن أن يستفيده شخص من محو ذاكرة شخص آخر .. أقصد محو الـ (س) ثم زرع (ص) مكانها ؟ هل يرغب فى دفعه إلى الجنون من جراء ما سيلقاه من الجميع ؟ فإذا افترضنا ذلك .. كان بإمكانه فعلها بطريقة أسهل .. زرع (هتلر) بدلاً من (ص) .. وبالتأكيد .. إذا قال أحد إنه (هتلر) أو (ريتشارد قلب الأسد) سوف يدخل المستشفى على الفور .. وهكذا لا أجد هذا الدافع منطقيًا .. حسنًا .. ربما أراد

التخلص منه لأنه لو ظل (س) سيخرب بيته .. حسنًا .. كان بإمكانه أن يمحو ذاكرته وكفى .. كان بإمكانه زرع فكرة الانتحار فى عقله .. وسوف ينفذها على الفور وبدون اعتراض .

ـ قد يكون هذا الشخص مؤمنًا لذا لن يقبل بفكرة الانتحار .. ولن يستطيع التنويم المغناطيسى دفع شخص على القيام بشىء يرفضه .

ـ وهل تعتقد أن فكرة محو الذاكرة محببة للجميع ؟

ـ ما الذى تعنيه ؟

ـ أعنى أن التنويم المغناطيسى لن يجبرك على محو ذاكرتك لأن هذا بالتأكيد شىء غير مرغوب فيه بالمرة .

لم ينبس ببنت شفة .. فقط نظر إلى السقف مفكرًا فيما قلته ، فقطعت تفكيره قائلاً :

ـ وهناك سؤال آخر .. لو أننى لست (ص) فمن أكون ؟ أعنى ما هى (س) ؟

نظر نحوى وقال بغموض :

ـ أحمد سعيد .

ـ ماذا ؟

ـ نعم .. ربما تكون (أحمد سعيد) .. إنه الاسم الذى اقترحته عندما سألك (وائل) وهو نفس الاسم الذى اقترحته هنا فى العيادة .. ألا تجد لهذا مدلولا ؟ إن العقل الباطن قد يـ ...

قاطعته قائلاً بغضب :

ـ دعك من نظريات العقل الباطن هذه .. أنا د. (ياسين العوضى) وسأظل د. (ياسـ ...

ـ د. (ياسين العوضى) .. الطبيب النفسى ؟!

ـ نعم .. أنا هو .

ـ كيف هذا ؟؟ أنت لست د. (ياسين العوضى) فأنا أعرفه جيدًا .. إنه صديقى .

ضحكت بشدة ، وقلت :

ـ أنت تمزح بالتأكيد .

ـ أنا لا أمزح .

ـ حسنًا .. كيف تكون صديقى وأنا أقابلك لأول مرة ؟!

ـ أنا لم أقل إننى صديقك .. أنـا قلت إننـى صديق د. (ياسين العوضى) .. الطبيب النفسى .

ـ وأنا د. (ياسين العوضى) .

ـ لا .. أنت لست هو .

ـ أنت تقول مثلهم .

ونهضت من مكانى .. لا أفهم ما يحدث .. لا أجد تفسيرًا مقنعًا لما يجرى .

فلو افترضنا أن المسألة لا تخرج عن التنويم المغناطيسى فهذا يعنى أن المصابين هم فقط الذين يعرفوننى وأعرفهم .. فكيف تأثر هذا الطبيب أيضًا برغم كونى لم أعرفه قبل هذه الساعة ؟ كيف يؤكد أنه يعرفنى على الرغم من أننى لم ألتق به من قبل ولولا السيدة (منيرة) لما كـ... آه .. هل من الممكن أن ...؟ لِمَ لا ...؟

إن هذا يفسر الكثير .

قال لى وهو يتصنع الذهول ويشير بإصبع السبابة نحوى :

ـ أنت مجنون .. يجب أن تدخل المستشفى .

ـ دعك من هذه التمثيلية .. لقد فهمت الآن .

ـ فهمت ماذا ؟

نظرت إلى عينيه جيدًا حتى أتبين رد فعله حين أقولها :

ـ أنت المنوم المغناطيسى الذى قام بهذه العملية من الألف إلى الياء .. ولكنك كشفت نفسك عندما قلت إنك صديقى .

الذهول يظهر جليًا على وجهه .. لم يتوقع أن أكشفه بهذه السرعة .. لم يتوقع انهيار خطته بهذه السهولة .. أكملت قائلاً :

ـ لم أرك سوى اليوم فكيف تدعى أنك صديقى ؟ لا أعرف مـا الذى كنت تخطط له بالضبط ؟ ولا أعرف من الذى تعمل لحسابه ؟ وربما تعمل لحساب نفسك .. ربما أنت الشخص نفسه الذى يريد أن يحل

محلى .. أى إنك الـ (ع) .. إن هذا منطقى فلايمكن أن يحل محل طبيب نفسى سوى طبيب نفسى مثله .. ولكن لماذا ؟ هل ترغب فى الحياة التى أعيشها أم إنك ناقم على الحياة التى تعيشها ؟ هل ترغب فى عيادتى .. أم منصبى ؟ إياك أن تكون قد فكرت فى خطيبتى .

لم ينبس ببنت شفة .. ظل واقفًا فى وجوم يستمع لما أقوله فقط ..

ـ أحلامك تبخرت فى الهواء .. لن تستطيع الإمساك بها .. دكتور .. خطتك فشلت .

وبسرعة مذهلة أمسكت بالمفاتيح التى كانت موضوعة بإهمال على المكتب ، ثم خرجت من الغرفة وأغلقها من الخارج فرأى الممرض ما أفعله وسمع صياح الطبيب فانقض علىّ ولكنى تفاديت انقضاضته وخرجت من العيادة ، ثم أغلقت بابها أيضًا ولكنى تركت المفاتيح فى ثقب الباب من الخارج .. فليأت أحد الجيران ويفتح لهم .

* * *

اتضحت لى الأمور الآن .. د. (صقر الشاذلى) هو المنوم المغناطيسى هو الذى محا (ص) من عقولهم .. لكن من هو (ع) ؟ أعنى طبعًا الشخص الذى حل محلى فى عقولهم .. هل هو نفسه

د. (صقر) ؟ إنه طبيب نفسى يصلح بالتأكيد ليحل محلى .. لكن لماذا يريد ذلك طالما أنه بالفعل طبيب نفسى ؟ ربما هناك شخص آخر هو (ع) .. وهو الذى حرض د. (صقر) على القيام بذلك مقابل مال .. أو مقابل أى شىء آخر .

لكن من هى صاحبة الصوت الأنثوى صاحبة المكالمات الغامضة ؟ بالتأكيد ليست السيدة (منيرة) .. إنها ضحية من ضحاياه ولكنه لم يمح ذاكرتها مثل الآخرين .. فقط استخدمها للإيقاع بى .. أعطاها الكارت لتعطيه لى .. وبالفعل أعطته لى عندما ذكرت مسألة التنويم المغناطيسى .. لقد سهلت لها المهمة .. كانت ستبحث لساعات عن سبب مقنع لتعطينى الكارت .. طبعًا لم أكن لأشك فى السيدة (منيرة) لذا أخذته على الفور .. أما السيدة (منيرة) .. قد لاتتذكر شيئًا من هذا الآن .. إنه يستخدم التنويم بمهارة .

لكن لماذا أرادنى أن أذهب إلى عيادته ؟ تُرى ما الذى كان ينوى عمله ؟ هل كان سيستخدم التنويم المغناطيسى معى ؟ هل كان سيمحو ذاكرتى كلها ؟ لماذا لم يفعل من البداية ؟ أم إن هناك شيئًا آخر يخطط له ؟ الحمد لله أنى خرجت فى الوقت المناسب .

يجب أن أبلغ البوليس .. أعتقد أن الأمر سيكون صعب التصديق بالنسبة لهم ولكنى سأفعل .. قد أحتاج إلى منوم مغناطيسى شريف ليؤكد حديثى أمامهم وليساعدنى فى إعادة الأمور إلى طبيعتها واسترداد حياتى .. ولكن يجب أولاً أن أثبت للبوليس أننى د. (ياسين العوضى) وهكذا اتجهت إلى بيتى .

ـ« من أنت ؟ »

قالها عم (مدبولى) عندما رآنى أخرج من سيارتى وأتجه إليه فأجبته ضاحكًا :

ـ عم (مدبولى) .. أنا د. (ياسين) .. ما الذى حدث لك ؟ هل ضعف بصرك ؟

ـ لا .. أنت لست د. (ياسين) .

ـ عم (مدبولى) .. لقد أريتك البطاقة .. هل نسيت ذلك ؟

ـ أنت لست د. (ياسين العوضى) .. أنت مجنون .

ـ إياك أن تنطقها مرة أخرى .

ـ إياك أن أراك هنا أمامى مرة أخرى .

قالها ثم اختفى فى الداخل لثوان ليعود بعدها حاملاً عصا غليظة تكفينى ضربة واحدة منها لأجرب النوم على أسرّة المستشفى لأسابيع .

لا أميل إلى استخدام العنف .. الموقف ليس فى صالحى الآن .. أنا رجل لا يحمل أى هوية .. طعنت بوابًا منذ قليل دون قصد .. الكل لا يتذكرنى .. هل يمكن أن تزداد الأمور سوءًا عن ذلك ؟ سؤال أتمنى أن تكون إجابته بالنفى .

إن بطاقتى تركتها عند خطيبتى ولكنى لا أستطيع الذهاب إلى هناك

الآن .. الوقت متأخر .. وهى مازالت لا تتذكرنى .. وهناك شخص مصاب بسببى .. بالتأكيد هذا أسوأ توقيت للذهاب إلى هناك .. إلى أين إذن ؟ أين سأبيت ليلتى ؟

فكرت فى العيادة .. مكان مناسب للمبيت ، ولن تكون المرة الأولى التى أفعل فيها ذلك .. وهى فى النهاية أفضل من السجن الذى بتُّ فيه بالأمس .

وهناك .. أمام باب العيادة بالضبط .. سمعت صوتًا .. ولقد ميزته على الفور .. إنه صوت (وائل) .. لقد بات فى العيادة .. لماذا ؟ هل كان يتوقع مجيئى .. هل ينتظرنى ؟

تركت المكان على الفور واتجهت بسيارتى إلى .. إلى .. لا أعرف أنا رجل بلا هوية الآن .. وبلا معارف .. زملائى لن يعرفونى وكذلك مرضاى .. أخشى أن يكون د. (صقر) قد ذهب أيضًا إلى أقاربى فى البلد .. ستكون كارثة .. فهذا يعنى أنه لا يوجد أحد على سطح كوكب الأرض يعرفنى ..

عدا السيدة (منيرة) طبعًا ..

وهكذا وجدت نفسى أتجه إليها .. لم تخبرنى أين تسكن .. أعلم ذلك .. ولكنها سيدة أعمال شهيرة لذا لم يكن التوصل إلى مكان إقامتها صعبًا .. كل ما كان يشغلنى هو المبيت .. وأتوقع أن تساعدنى هى فى ذلك .. قد يكون هناك شقة خالية تملكها .. أو استراحة بجوار إحدى شركاتها .. المهم مكان آمن ونظيف .

ومن يدرى ؟ ربما بنفوذها تستطيع مساعدتى فى هذه المحنة .. المهم ألا يصل إليها د. (صقر) مرة أخرى وإلا فإنى سأجد صعوبة فى العيش على هذا الكوكب .

وهناك .. تجاوزت الكلب وصعدت إلى شقتها .. وأمام باب الشقة نظرت فى ساعتى كانت العاشرة والربع .. الوقت متأخر ولكنى مضطر .. طرقت الباب وانتظرت .. شعرت بأقدامها تتحرك فى الداخل ، ثم سمعتها تقول بفزع :

ـ من ؟

ـ أنا د. (ياسين) .

أعتقد أنها تنظر لى الآن من العين السحرية .. لن تمر دقيقة قبل أن تفتح لى .. لكن .. تأتى الرياح بما لاتشتهى السفن .. فوجئت بها تصيح ، قائلة :

ـ انصرف وإلا أبلغت البوليس .

لا أعتقد أن تصرفها ناتج عن البارانويا وخوفها من الآخرين .. ولا أعتقد أنها نسيتنى بهذه السرعة إلا إذا ...!

ـ افتحى .. أنا د. (ياسين) .

ـ لا أنت لست هو .

هذه الجملة أسمعها كثيرًا .. وكأن د. (صقر) يحفّظها لهم .

لم أندهش .. لم يعد هناك شىء يدهشنى بعد كل ما حدث .. إن د. (صقر) لا يريد أن يترك وراءه ثغرة .. يريد أن يضيق أنشوطة الإعدام على رقبتى .. إنه يريد أن يثبت لى أننى صرت وحيدًا فى هذه الدنيا .. لا صديق .. لا معين .. لا وظيفة .. لاخطيبة .. وبالتأكيد لا هوية .. وبرغم كل هذا أشعر أن الفرج قريب .. أشعر بذلك ..

طبعًا .. لا يوجد فندق محترم يقبل نزيل بلا هوية .. لذا لم أجد مكانًا أبيت فيه سوى سيارتى .. غطيتها جيدًا ، ثم نمت داخلها .. طبعًا لم يكن النوم على مقاعد السيارة مريحًا . أضف إلى ذلك الكوابيس التى حاصرتنى طوال الليل .. المحصلة : ليلة ليست أفضل من ليلة السجن بكثير .

استيقظت فى الصباح على صوت طرقات على باب السيارة .. لم أستطع فتح عينى على الفور فقد كان الضوء يغمر السيارة .. من الذى رفع الغطاء عنها ؟

نظرت فى ساعتى .. كانت الثامنة والنصف صباحًا .. يوم جديد .. أتمنى أن يكون يومًا عاديًا ..جدًا .. لقد مللت من الأيام الغريبة المليئة بالمفاجآت .

طرقات مرة أخرى .. نفس الطرقات التى أيقظتنى .. بحثت بعينى لأعرف مصدرها .. حتى وجدته .. كانت سيدة تقف بجوار نافذة

السيارة اليمنى الأمامية وتطرق زجاجها بحماسة شديدة .. تأملت وجهها وملابسها فاستنتجت أنها تريد أن تبيع لى مناديل أو وردًا أو .. أو .. إلخ .. تمتهن التسول بطرق مشروعة .

لم أهتم بها كثيرًا وانشغلت بالبحث عن مفاتيح السيارة .. ولكنها لم تتوقف عن الطرق فأشرت لها بالرحيل .. عادت لتطرق من جديد على النافذة .. توتر .. توتر .

أنزلت زجاج النافذة لأوقف هذه الضوضاء ، وقلت :

ـ ماذا ؟

ابتسمت ابتسامة واسعة ، وقالت :

ـ صباح الخير .

ـ صباح النور .. أى خدمة ؟

قلتها ثم عدت لأستكمل بحثى عن المفاتيح عندما سمعتها تقول :

ـ أنا زوجتك يا (أحمد) !!!

* * *

17 ـ أنا زوجتك !

الاثنين السابع من مارس .. الساعة : الثامنة والنصف صباحًا ..

نظرت مندهشًا إلى هذه المرأة الغامضة التى أراها لأول مرة ، وقلت :

ـ ماذا ؟ يبدو أننى لم أسمعك جيدًا .

ـ أقول أنا زوجتك يا (أحمد) .

ابتسمت ، وقلت بهدوء حتى لا أفقد أعصابى :

ـ حسنًا وأنا طلقتك .

صاحت منزعجة :

ـ متى ؟ لم يخبرنى أحد بذلك .

ـ وأنا أيضًا .. لم يخبرنى أحد أنى تزوجتك .

ـ ماذا ؟

تجاهلتها واستكملت بحثى عن المفاتيح ولم أهتم بالرد عليها .

ـ لماذا تركت البيت يا (أحمد) ؟

مازلت أبحث ...

ـ البيت بدونك مظلم .

وجدت المفاتيح أخيرًا ولكنى أمامها مازلت أبحث ...

ـ إن الأولاد مشتاقون إليك .

ـ أولاد !

ـ أبناؤنا .. أنسيتهم يا (أحمد) ؟

ـ أنا لست أحمد .. أنا د. (ياسين العوضى) .

قالت متعجبة :

ـ د. (ياسين العوضى) ؟! أتقصد الطبيب النفسى ؟

ـ الحمد لله أنك تعرفين هذه المعلومة .

ـ إذن أنت غاضب من دخولى شقته بالأمس .. ولكن يجب أن تغفر لى ذلك .. لقد دخلتها لأعيد له أشياءه ولأننى توقعت أن أجدك هناك .

ـ أفهم من حديثك أنك من دخل شقتى بالأمس ووضع البطاقة وجواز السفر والـ...

قاطعتنى قائلة :

ـ نعم .. ولقد كان المفتاح معى فلم أجد صعوبة فى دخول الشقة ولم يمانع البواب عندما ذكرت له أنى قريبته .

ـ حسنًا .. أين وجدت هذه الأشياء ؟

ـ أنت من أحضرتها إلى منزلنا .

ـ تقولين (منزلنا) !! يا مدام .. أنا لست زوجك (أحمد) .. ألم تنظرى إلى البطاقة وأنت تعيدينها ؟ أنا د. (ياسين العوضى) .

يجب أن ألقاهم فى المستشفى والعيادة .. وفى الشارع أيضًا .. أعنى المجانين .

قالت لى بعناد :

ـ لا .. أنت (أحمد سعيد) زوجى .

(أحمد سعيد) .. هذا الاسم سمعته من قبل .. إنه الاسم الذى ادعى د. (صقر) أنه (س) .. أى الاسم الحقيقى لى على أساس أننى لست د. (ياسين) .

إن د. (صقر) يريد أن يستغل ما حكيته له ضدى .. وهذا يعنى أننى لو ذكرت له أننى اخترت اسم (أدهم صبرى) .. كنت سأجد أمامى من تدعى أننى (أدهم) وأنها زوجتى وأننى تركت البيت منذ يومين .. وهكذا .. أعتقد أن السيدة التى تقف أمامى ليست مجنونة .. ربما ممثلة أخذت أجرها من د. (صقر) .. قلت لها :

ـ تقولين إننى زوجك .. حسنًا .. هذا يعنى أنه يمكننى تقبيلك .

ضحكت ، وقالت :

ـ أنت لم تفعلها منذ خمس سنوات .. منذ إنجابى (سيد) .

أعتقد أنها ليست ممثلة .. إنها مؤمنة بما تقوله تمامًا .. ربما هى تفعل ذلك تحت تأثير التنويم ، ثم فوجئت بها تقول :

ـ هل ستفعلها الآن ؟

سألتها بفضول :

ـ أفعل ماذا ؟

ابتسمت بحياء وأنا الذى اعتقدت أن رصيدها منه قد انتهى .. فهمت ما تعنيه و ...

ـ لا .. لم أفكر فى ذلك قط .. كنت أختبرك فقط .

ظهر الغضب على وجهها ولكنى لم أهتم .. أمسكت بالمفتاح وأدرت السيارة .

ـ ألن تعود إلى البيت ؟

ـ بيت ؟

ـ بيتنا .. هيا نذهب إليه .. ما رأيك فى الذهاب إليه بهذه السيارة ؟ ستكون مفاجأة لأهل الحارة .

ـ بيتنا .. الآن فهمت .. حسنًا .. أريدك أن تبلغى د. (صقر) أننى لست ساذجًا إلى هذا الحد .. لن أذهب إليه بقدمى مرة أخرى .

ـ د. (صقر) من ؟

ـ وأبلغيه أيضًا أننى سأجد طريقة .. وسوف أعود لحياتى الطبيعية من جديد أما هو فسيقضى بقية حياته فى السجن .. هذا وعد .

وانطلقت بسيارتى .

نفس اليوم .. الساعة : العاشرة إلا الربع صباحًا ..

ذهبت إلى المستشفى .. أعرف أنها خطوة جريئة وقد لا أخرج منها إذا دخلتها اليوم .. ولكنى لم أجد أمامى سبيلاً آخر غيرها .. فقد أجد هناك من يعرفنى ..

وقد أجد هناك ما يدل على هويتى .. وقد أجد .. أى شىء يعيدنى إلى ما كنت عليه .

طبعًا لن أذهب إلى هناك وأقول إننى د. (ياسين العوضى) .. لا أريدهم أن يتهمونى بالجنون .. سأذهب إليهم كزائر يود الاطمئنان على قريبه الذى بالمستشفى وهكذا أدخل بسهولة وأخرج بسهولة .

لا أحمل بطاقة .. أعرف ذلك جيدًا ولكنى أعتقد أن حارس البوابة لا يهتم بمثل هذه الأمور .. تريد أن تدخل فلتدخل .. منتهى البساطة .. أعتقد أن دوره ليس منع من بالخارج من الدخول .. بل منع من بالداخل من الخروج .. تريد أن تخرج .. لا انتظر .. من أنت أولاً .. أثبت أنك لست مريضًا هنا .. أرنى هويتك .. منتهى الصعوبة .

أى أن الخروج أصعب من الدخول .. ولكنى سأعتمد على ذاكرته الحديدية .. بالتأكيد سيتذكر أنى دخلت منذ قليل .. وهكذا سأتمكن من الخروج .

وهناك .. أمام بوابة المستشفى أوقفت سيارتى .. الشىء الوحيد الذى أملكه الآن دون اعتراض من أحد .

ـ أهلاً د. (ياسين) .

لم أصدق نفسى .. لم أصدق أن حارس البوابة قال ذلك .. هل أنا أحلم ؟ قال لى :

ـ كيف حالك يا دكتور ؟

ـ بخير .. بخير .. أفضل بكثير عن ذى قبل .

فتح لى البوابة فاتجهت بالسيارة إلى الداخل فقال لى عندما مررت بجواره :

ـ ألا يوجد علاج لهذا (الكرش) ؟

لا أصدق نفسى .. لقد عادت الأمور إلى طبيعتها .. هل زال التأثير فجأة ؟

ـ أعتقد أنه يزداد وكل هذا بسبب هذه الوظيفة المملة .. هل يمكنك يا دكتور أن تكلم أحدًا ممن تعرفهم لينقلنى من هنا .. أنا لم أخلق لهذه المهنة .

ـ سأحاول .

أطير من الفرحة .. أشعر أننى أركب طائرة .. بالتأكيد أنا لا أسير على الأرض .

أوقفت سيارتى وترجلت منها ففوجئت بـ (صفوت) يتجه إلىّ قائلاً :

ـ د. (ياسين) .. نحتاجك بسرعة فى (17) .. المريض الذى هناك قد .. لا أصدق نفسى .. لقد عض (زينب) الممرضة .

جريت وراء (صفوت) لأنقذ الموقف .. كنت سعيدًا لاستعادتى حياتى .. سألته :

ـ هل حقنتموه بمهدئ .

لم يرد .. يبدو أنه لم يسمعنى أثناء عدوه .. يبدو أن الحالة خطيرة .. وهناك فوجئت بـ (صفوت) يدفعنى إلى الداخل بقوة .. لم أجد مريضًا .. وفوجئت به يغلق باب الغرفة .. طرقت الباب بقوة ليفتحوه ولكن لم يفتحه أحد .. بعد دقائق سمعت من يقول :

ـ أخيرًا .. تمكنا منك .. لقد أرهقتنا كثيرًا .

هذا الصوت أعرفه جيدًا .. إنه صوت د. (صقر) .

* * *

18ـ (س)و(ص) و.. (ع) !

نفس اليوم.. الساعة : العاشرة والثلث صباحًا ..

دخل د. (صقر الشاذلى) الغرفة التى احتجزونى فيها .. الغرفة (17) .

ـ أنت من دبر لكل هذا .. أنت المنوم المغناطيسى والمخطط وربما (ع) أيضًا .

قلتها وأنا أتأمل تعبيرات وجهه الجامدة ، ثم فوجئت بالسيدة التى ادعت أنها زوجتى تدخل وراءه ، فقلت :

ـ إذن أنت تعملين معه ولست واقعة تحت تأثيره كما ظننت .. أفهم من ذلك أنك صاحبة الصوت الأنثوى التى حادثتنى أول أمس .

ثم دخل الغرفة شخص ثالث .. إنها الملاك .. أقصد الكائن الذى اعتقدت أنه ملاك .. إنها (نادين) .. فقلت لها :

ـ إذن د. (صقر) هو الشخص الذى حادثته هاتفيًا .. لِمَ فعلت ذلك ؟ من أجل ماذا ؟ ما الذى وعدك به ؟

هنا دخل شخص رابع .. كان يشبهنى إلى حد كبير .. أقصد يشبهنى تمامًا .. قلت له :

ـ من أنت ؟ لا يمكن أن تكون (ع) .. إنك تشبهنى تمامًا .. لو أنك حللت محلى لن يستطيع أحد ملاحظة ذلك ولم تكونوا فى احتياج إلى تنويم مغناطيسى .. وطالما أنكم جعلتم الجميع ينسوننى فهذا يعنى أنكم وضعتم شخصًا آخر لا يشبهنى على الإطلاق .

تجاهلنى ذلك الشبيه تمامًا ، وتوجه إلى (نادين) وربت على كتفيها ، وقال :

ـ هل اطمأننتِ الآن ؟

ـ نعم .

ـ حسنًا .. يمكنك الرحيل إذا أردت ذلك .

ـ لا .. سأنتظرك .

صحت بغضب قائلاً :

ـ ما الذى يحدث ؟ ومن هذا ؟ أنا لا أذكر أن لدى إخوة توائم .. ولا أعتقد أننى شخصية شهيرة لتستنسخوها .. من هذا إذن ؟ فليجبنى أحدكم .

عدّل د. (صقر) من وضع نظارته ، وقال :

ـ إنه (ص) الحقيقى .. إنه د. (ياسين العوضى) .

* * *

قال الشبيه :

ـ دعونى أفسر له الأمر .

ـ إن حالتك تسمى تقمصًا .. لقد تقمصت شخصيتى .

ـ ماذا ؟ ولماذا لا تقول إنك من تقمصت شخصيتى .

أطلق الشبيه زفيرًا ونظر إلى (نادين) ، وقال :

ـ أعطنى مرآة يا (نادين) .

أخرجت (نادين) مرآة صغيرة من حقيبتها وأعطتها لشبيهى فأخذها منها ووضعها أمام وجهى ..أأ.. ما هذا ؟ صحت بغضب قائلاً :

ـ ما الذى فعلتموه فى وجهى ؟ أين وجهى ؟ لماذا فعلتم ذلك ؟

قال الشبيه للسيدة التى قابلتها هذا الصباح :

ـ أعطنى البطاقة .

أخذها منها ، ثم شرع فى القراءة بصوت عال :

ـ أحمد سعيد البدرى زيدان .

ثم أعطاها لى فنظرت إلى الاسم ثم نظرت إلى الصورة .. ما هذا ؟ إنها صورة لشخص يحمل الوجه الذى أحمله الآن .. صحت غاضبًا :

ـ لقد فهمت .. إنكم تريدوننى أن أحل محل (أحمد سعيد) هذا .. وسوف تستخدمون التنويم لتجعلونى أعتقد أننى هو .

ضرب د. (صقر) كفا بكفًا ، وقال :

ـ لا فائدة .. لا فائدة .

قال الشبيه :

ـ سأحاول معه من جديد .

ثم اتجه إلىّ ، وقال بهدوء :

ـ اسمعنى جيدًا يا (أحمد) .. إن الـ ...

ـ أنا لست (أحمد) .. أنا د. (ياسين العوضى) .

ـ حسنًا .. لو أنك د. (ياسين) .. متى قابلت (نادين) لأول مرة ؟

ـ سؤال بسيط جدًا .

ـ حسنًا .. أجبنى .

ـ لقد قابلتها فى الـ ... الـ .. أأ .. ما هذا ؟ كيف أنسى لقاءنا الأول ؟! فهمت .. لقد محوتم هذا الجزء من ذاكرتى .

ضرب د. صقر قبضته بسطح المكتب وقال :

ـ لا فائدة . ألم أقل لكم لا فائدة ؟

نظر لهم الشبيه وقال : دعونى أحاول معه من جديد .

ثم التفت إلىّ ونظر إلى عينىّ مباشرة ، وقال :

ـ أتعرف لماذا لا تعرف شيئًا عن هذا اللقاء الأول ؟ لأنى لم أكتب عنه بعد فى مذكراتى التى قرأتها .

ـ ماذا ؟

ـ سأفسر لك ما حدث ولكن استمع جيدًا لما أقوله حتى وإن كان لا يعجبك .. وأرجوك لا تقاطعنى .. اتفقنا ؟

ـ اتفقنا .

ـ حسنًا .. فى البداية .. أود أن أعرفك بنفسى .. أنا د. (ياسين العوضى) .. طبيب نفسى .. وهذه خطيبتى (نادين) وهذا المتذمر هو صديقى د. (صقر الشاذلى) طبيب نفسى أيضًا ولكنى أنجح منه بالتأكيد .. أتعرف لماذا ؟ لأننى طويل البال .. أما هذه فهى (توحيدة) ابنة عمتك وزوجتك وأم أبنائك .. أما أنت .. (أحمد سعيد) خريج كلية الآداب .. قسم علم نفس .. تمنيت دائمًا أن تكون طبيبًا نفسيًا ، ثم تضاءلت أحلامك بمرور الزمن فتمنيت أن تكون مدرس علم نفس .. ولكنك لم تحصل على أى منهما .. تزوجت ابنة عمتك أثناء دراستك بالكلية فحطم هذا كثيرًا من أحلامك وأجبرتك تكاليف الحياة الزوجية على العمل أثناء وبعد الدراسة .. عملت عند سمكرى سيارات حتى هذا الشهر .. بمعنى أدق حتى يوم الحادث .. لقد لعب القدر دوره فى هذا الموضوع .. كنت أقود سيارتى عائدًا إلى بيتى أما أنت فالمفترض أنك كنت سائرًا عائدًا إلى بيتك حينما فقدت أنا السيطرة على سيارتى واصطدمت بعمود الإنارة .. هنا فتحت أنت السيارة وأخرجتنى منها ، ثم قدت السيارة واتجهت بها إلى الورشة وهناك قمت بعمل اللازم من أجلها وعندما صارت جاهزة .. لم تعدها لى بل قدتها واتجهت إلى العمارة التى أسكن بها وصعدت إلى شقتى وفتحت بابها بالمفتاح الذى كان فى الحقيبة .. لقد خدمتك كثيرًا

حقيبتى التى كانت بالسيارة .. كان فيها مفتاح الشقة وعنوان المنزل والعيادة .. على أى حال .. لم تحاول سرقة شىء .. أشهد على ذلك ولكنك استعرت بدلة وجميع مذكراتى وألبوم الصور وسجل المرضى وبطاقتى وجواز السفر وبقية المستندات .. كل هذا فقط .. لا أعرف لماذا ؟ ربما كان عقلك الباطن يعد نفسه لما سيحدث .. تقول زوجتك إنك قضيت الليل كله تقرأ المذكرات وتطالع ألبوم الصور وسجل المرضى .. أعتقد أنك لم تتركهم حتى حفظت ما بهم تمامًا .. وفى الصباح خبأت البطاقة وجواز السفر .. إلخ ، ثم ارتديت البدلة وحملت المذكرات واتجهت إلى العمارة التى أسكنها ..هنا رآك البواب لأول مرة فأخبرته أنك د. (ياسين) فاعتقد البواب أنك صديقى عندما أشرت له على الشقة التى أسكنها . كانت هذه هى نقطة البداية لتقمصك شخصيتى أمام الآخرين .. وهذا هو تفسير حالتك بالضبط .. لا يوجد تنويم مغناطيسى أو ذاكرة ممسوحة .. أو نظرية مؤامرة .. إنها حالة تقمص .. تقمص كامل .. انتحال نفسى إن جاز التعبير .. لقد محوت بنفسك هويتك الأصلية .. نسيت تمامًا كل شىء عن حياتك الماضية بدليل أن زوجتك المخلصة لم تعرفها .. حالة فقدان ذاكرة هستيرى .. ثم وضعت هويتى مكانها .. تقمصت شخصيتى .. ساعدتك مذكراتى كثيرًا فى هذا الأمر .. عرفت أشياء كثيرة عنى وعن الذين أعرفهم .. بدءًا بزملائى الأطباء حتى مرضاى .. ولقد عاونك ألبوم صورى أيضًا بالإضافة إلى سجل المرضى الذى يحتوى على أسمائهم وصورهم .. عرفت أيضًا نظام حياتى وطبقته .. حتى إنك كتبت مذكرات كما أفعل وقلدت أسلوبى فى الكتابة .. لقد

تعاملت مع الجميع على أنك د. (ياسين العوضى) لدرجة أنك لم تصدق أى شخص يخبرك بأنك لست د. (ياسين) .. واعتقدت إنهم يمزحون معك أو أن هناك مؤامرة .. واعتقدت أن المؤامرة بدأت بالمكالمات الهاتفية .. لم تكن تعلم أن صاحبة الصوت الأنثوى هى (نادين) خطيبتى .. كانت تتصل لتطمئن علىّ عندما لم أحضر موعدنا فى الكازينو .. ولكنها فوجئت بصوت غريب يرد عليها فاعتقدت أن الرقم خطأ لذا عاودت الاتصال مرات ومرات .. كنت أنا فى ذلك الوقت أرقد فى المستشفى لا أعلم شيئًا بما يحدث .. لم أخرج منها سوى بالأمس .. أما أنت فبدأت تمارس حياتك كأنك د. (ياسين) .. ذهبت إلى عيادتى وهناك قابلت (وائل) لأول مرة ولكن عقلك الباطن صور لك أنك رأيته من قبل مرات عديدة لأنه الممرض الذى يعمل عندك .. كان (وائل) هو أول من أخبرك بالحقيقة .. ولكنك اعتقدت أنه مجنون واتصلت بالمستشفى لتأخذه .. ثم اتصلت بعد ذلك بالشرطة لنفس السبب وجاءت الشرطة وتأكدت من هوية (وائل) لكنها لم تتأكد من هويتك وهكذا ذهبت إلى البيت لتبحث عن بطاقتك .. أقصد بطاقتى .. طبعًا بطاقتى تحمل صورتى ولهذا خبأتها فى منزلك حتى لا تخرجك من حالة التقمص كلما نظرت إليها .. نسى عقلك الباطن ما فعله لدرجة أنك ذهبت إلى خطيبتى لتسألها عن البطاقة .. ثم قضيت ليلتك فى السجن .. هنا أتعجب من موقف د. (مجدى) . لم أكن أعلم أنه يفضل النوم على إنقاذ صديقه .. ولقد عاتبته على موقفه هذا فردّ قائلاً : (كنت أعلم أنه شخص آخر غيرك) فقلت له : (لو أن

الأمر كذلك لماذا ذهبت فى الصباح لتضمنه) .. المهم .. قابلت خطيبتى بعد ذلك فى الكازينو فى موعدنا المعتاد ففوجئت بأنها لا تعرفك ، ثم مررت على العيادة لتجد مرضاك لا يعرفونك و د. (مجدى) نفسه لا يعرفك ثم مررت على المستشفى ففوجئت بحارس البوابة لا يعرفك ، ثم قابلت السيدة (منيرة) بعد ذلك مصادفة .. السيدة الوحيدة فى العالم التى ترى أنك د. (ياسين) .. الغريب هنا أنك ساعدت السيدة (منيرة) فى التخلص من مرضها .. (البارانويا) .. الأغرب من ذلك أنك عانيت من نفس المرض بعد ذلك .. لقد فوجئت بأن الجميع لا يعرفونك حتى جيرانك أنفسهم .. فأكد هذا نظرية المنوم المغناطيسى وقررت الذهاب إلى د. (صقر) .. ولكن قبل ذهابك تجد مفاجأة فى انتظارك .. الأشياء التى تخصنى وخبأتها أنت فى منزلك تجدها على السرير .. وكما قلت من قبل إنك قد نسيت ذلك .. كان من الطبيعى عندما ترى بطاقتى وجواز سفرى أن تكتشف حقيقة أنك لست د. (ياسين العوضى) وتخرج من حالة التقمص .. أو تتصور أنهم مزورون وتظل فى حالة التقمص .. لكن ما حدث كان أغرب من ذلك .. لقد صور لك عقلك الباطن أن هذه هى بطاقتك وأن الصورة التى بالبطاقة صورتك وأنك تحمل هذا الوجه .. لا أعرف كيف نسيت وجهك أيضًا ؟ ألم تنظر فى مرآة خلال هذين اليومين ؟ المضحك هنا أنك أظهرت البطاقة للبواب لتثبت له أنك د. (ياسين) .. فنظر البواب إليها فتأكد أنك لست د. (ياسين) وتأكد أنك مجنون ولكنك لم تنتظر رده وانطلقت إلى خطيبتى لتؤكد لها هويتك عن طريق البطاقة وجواز السفر .. نأتى

الآن لكيفية الوصول إليك .. فى هذا الوقت تعافيت من إصابتى وخرجت من المستشفى وحكت لى خطيبتى و(وائل) و د. (مجدى) عنك .. فذهبت إلى الشقة ووجدت المذكرات التى كتبتها خلال اليومين السابقين وعرفت من خلالها ما فعلته بالتفصيل وفهمت حالتك على الفور .. فى الواقع لم يكن من السهل لقاؤك .. خاصة مع البارانويا التى استحوذت عليك .. كنت كالزئبق .. كلما أحكمنا السيطرة عليك أفلت من بين أصابعنا .. كنت سريع الحركة .. وبالرغم من استخدامنا مذكراتك لنعرف خطوتك التالية ونفهم طريقة تفكيرك إلا أننا كنا متأخرين دائمًا .. مثلاً .. هروبك من بيت خطيبتى .. لقد طلبت منها أن تقابلك بطريقة جيدة وتخبرك أن الأمر كان مزاحًا، ثم تضع لك المنوم فى العصير ثم تتصل بى لآتى على الفور .. ولكنك لم تشرب العصير .. البارانويا جعلتك تشك فيه .. ثم سمعت اتصالها بى ففهمت الخدعة وقررت الهروب .. فاستنجدت خطيبتى بعم (عويس) فتلقى طعنة منك !! ولكن الحمد لله كانت إصابته خفيفة عالجناها على الفور، ثم اتجهت إلى د. (صقر) صديقى الذى لم يكن على علم بالموضوع ولكنه اتصل بى بمجرد هروبك من عيادته .. كان إغلاقك العيادة من الخارج تصرفا ذكيًا .. فعلها مرضى كثيرين معى من قبل .. ثم اتجهت بعدها إلى السيدة (منيرة) لتساعدك . كنا قد زرناها قبل مجيئك وأفهمناها الموضوع وأثبتُّ لها أننى د. (ياسين) الحقيقى، وطلبت منها نفس ما طلبته من خطيبتى كان من المفروض أن تعاملك بطريقة جيدة، ثم تضع المنوم ثم تتصل بى .. ولكن خوفها منك جعلها تتحاشاك، أخبرتك بالحقيقة،

وطلبت منك الانصراف، فضاعت منا هذه الفرصة أيضًا ... أما زوجتك (توحيدة) فقد علمت منا أنك قد ذهب إلى السيدة (منيرة) فبحثت عنك هناك ثم اكتشفت وجودك داخل السيارة .. كان المفترض أن تتصل بنا .. ولكنها لم تكن تريد إدخالك المستشفى ولهذا لم تتصل .. وأفلت منا مرة أخرى .. لم يعد هناك مكان سوى شقتك والعيادة والمستشفى .. بالنسبة لشقتك أفهمنا البواب .. أما العيادة فاقترح (وائل) أن يبيت فيها ، أما المستشفى فقد طلبت من جميع العاملين بها حتى حارس البوابة أن يعاملوك على أنك د. (ياسين العوضى) حتى تقع فى الفخ وتدخل هنا .. ولقد نفذوا ما أمرتهم به حرفيًا .. وهكذا استطعت أن أراك أخيرًا .

نظر الشبيه للمنوم المغناطيسى ، وقال :

- والآن .. هل يمكنك أن تستخدم التنويم المغناطيسى فى إعادة ذاكرته له ؟

اتجه الأخير نحوى ، وهو يقول :

- سأحاول .

إنه سيحاول أن يمحو ذاكرتى .. لن أمكنه من ذلك .. رأيته يفتح عينيه عن آخرهما وسمعته يقول كلمات كثيرة لم أحاول سماعها بل حاولت أن أركز تفكيرى على أى شىء آخر فدندنت بأغنية شهيرة

فى عقلى .. وهكذا لن أسمح لكلماته بالسيطرة على عقلى .. ستفشل محاولاته بالتأكيد .

بعد محاولات كثيرة استسلم أخيرًا ، وقال للشبيه :

ـ لا فائدة .. ألم أقل لكم .. لا فائدة .

ـ لماذا ؟

ـ أنه يرفض استعادة ذاكرته .. لقد رفض عقله الخضوع للتنويم .

ـ حاول مرة أخرى .

ـ لا .. لا فائدة من إعادة المحاولة .

قلت لهم :

ـ هناك شىء أريد معرفته الآن .

ابتسم الشبيه ابتسامة مشجعة ، وقال :

ـ وما هو ؟

ـ من الذى قام بتغيير وجهى ؟ أريد استعادة وجهى .

ظهر الغضب على وجه الشبيه ، وقال للمنوم :

ـ معك حق .. لا فائدة .

* * *

اليوم الأربعاء التاسع من مارس .. الساعة : الثالثة عصرًا ..

توجهت إلى مكتبى .. أجلس لساعات أستمع لموكلين يرون دائمًا أنهم على حق وأن الطرف الآخر هو المخطئ .. يطلبون دائمًا البراءة ودون دفع مليم واحد كفالة ولا يستطيعون قبول أى حكم آخر .. أشرح لهم ماذا يقولون فى المجلس .. يستمعون لنصائحى بمنتهى الدقة .. ولكن للأسف معظمهم لا يجيد التمثيل ؟!

دخلت مكتبى .. فوجدت عددًا لا بأس به من الزبائن .. يبدو أن اليوم سيكون طويلاً .. ألقيت التحية على الجالسين ، ثم توجهت إلى (شفيق) .. محامى تحت التمرين يعمل عندى .. رأيته منهمكًا فى الكتابة .. تأملت ما يكتبه .. كانت دعوى قضائية ضد المعلم (نجاتى) .. حسنًا .. إنه يريد أن يبين لى أنه يستحق ما يأخذه من أجر .. يريد أن يثبت لى أنه منهمك فى العمل حتى أنه لم ينتبه لدخولى .. قلت :

ـ مساء الخير .

ـ مساء الخير .

رد التحية دون أن يرفع رأسه عن الأوراق .. أداء جيد لدور المحامى النشط الذى لا يكل ولا يمل .. سألته :

ـ هل سأل عنى أحد يا (شفيق) ؟

رفع رأسه عن الأوراق ، وقال :

ـ المعلم (نجاتى) .

تساءلت بصوت منخفض :

ـ تُرى لماذا يطلبنى ؟ هل يريد أن نحل الأمور وديًا ؟ ربما .

سمعت من يقف عند الباب ، ويقول :

ـ كيف حاله اليوم ؟

اعتقدت أنهم زبائن .. كانا رجلين .. وقفا عند الباب ولم يدخلا .. قال أحدهما للآخر بصوت هادئ رصين :

ـ لقد بذلت معه مجهودًا كبيرًا ولكنى نجحت فى النهاية .

ـ أتعنى أنه لم يعد يرى نفسه (أنت) .

ـ نعم .. ولكنه لم يعد يرى نفسه (هو) .

ـ ماذا تعنى يا د. (ياسين) ؟

ـ لقد أصبح شخصًا آخر .

ـ إياك أن تقول (أنا) .

ـ لا يا د. (مجدى) .. إنه يتخيل نفسه محاميًا والمرضى هنا هم الموكلون وهذه الغرفة هى مكتبه .. بل أحيانًا يتخيلها محكمة ..

ويقوم أحد المرضى بدور القاضى .. وهذا القاضى للأسف لايعرف سوى حكم واحد .. السجن المؤبد شنقًا .. هكذا ينطقها .

ـ هذا يعنى أن الهلاوس دخلت أيضًا فى حالته .

ـ نعم للأسف .

ـ كيف عرفت كل هذا ؟

ـ مازال يكتب مذكراته .

ـ مذكراته ؟! أعتقد أنها وسيلة جيدة لنعرف من خلالها مدى تطور الحالة .

ـ نعم بالتأكيد .

ـ ليت الآخرين يفعلون مثله .

إذن .. هم يقرءون مذكراتى .. ليستخدموها ضدى ويعرفوا كل شىء عنى .. حسنًا لن أكتب مذكرات بعد الآن .

لن أكتبها أبدًا .

[تمت بحمد الله]

محمد رضا عبد الله

حالات خاصة

مذكرات طبيب نفسى ،
يصارع للحفاظ على حياته ،
والحفاظ على سلامة عقله .

2

حالة بارانويا

سيدة تعتقد أن هناك مؤامرة لقتلها ؛ تتوقع أسوأ الأشياء من أقرب الناس إليها ، والطبيب يحاول إقناعها أنها تتوهّم ذلك .. ليست المشكلة أنها لم تقتنع .. المشكلة كانت أكبر وأخطر !

العدد القادم

حالة مستحيلة

الثمن فى مصر 400
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

مطابع